الباب الأول

لبنان بين التاريخ والسياسة والصراعات الإسرائيلية

الفصل الأول

لبنان من الناحية التاريخية والتنظيم السياسي بها

تقول رواية شعبية موغلة في القدم: إن لبنان جزء من أرض الميعاد، منذ دعا الله إبراهيم من وطنه إلى هذه الأرض ليجعله أبًا لشعب عظيم في أرض جيدة. وعده إجمالاً بجميع أرض كنعان، قال له:

«انطلق من أرضك وعشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك.. لنسلك أعطي هذه الأرض... ارفع طرفك وانظر من الموضع الذي أنت شمالاً وجنوبًا وشرقًا وغربًا. إن جميع الأرض التي تراها لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد» (سفر التكوين، الإصحاح ١٢، ١٣).

لبنان الحقيقي، هو سلسلة الجبال الغربية، وعرفت هذه البقعة باسم لبنان منذ العهد الروماني، على حين كان يطلق على السلسلة الشرقية اسم أنتي لبانوس Antili banos، أي لبنان المقابل، والسلسلتان كانتا فيما مضى من العصور الجيولوجية سلسلة جبال واحدة، تبدأ من جبل اللكام في سورية، وتنتهي جنوبًا بجبال سيناء المرتفعة في مصر، يجيء لبنان - واقعًا - في وسط هذه السلسلة، وهو أعلى جزء فيها، وأكثرها نتوءًا ووعورة، وأروعها منظرًا، وأطرفها بلدًا، ويحمل خصائص سكان الجبل بكل ما فيه من معنى، فيتصف أهله بالشموخ والتعالي والاعتزاز والاستقلالية وشدة الإحساس.

هذه السلسلة الغربية التي حملت اسم لبنان أشبه بهيكل عظمي تكسوه سهول هنا ومنخفضات هناك، وهو أول حاجز يقف في سبيل الاتصال بين البحر المتوسط والبلدان الشرقية الواقعة وراءه، وتمثل حاجزًا قويًا قل أن تجد فيه ثغرة أو معبرًا يسهل اجتيازه، وقممها العالية مغطاة بالثلوج، وكانت - وما زالت - مصدر إلهام للشعراء والكتاب، ومعاقلها معتكف روحي للنساك والعباد.

تعود هذه التسمية إلى أربعة آلاف عام تقريبًا، والكلمة مشتقة من أصل سامي مشترك بين كل اللغات التي انحدرت عن السامية، وهي: العربية والسريانية والآرامية والعبرية واليمنية الجنوبية والحبشية القديمة (الجعزية)، وأصل الكلمة: (ل ب ن)، أي اللبن، وأريد من الكلمة لازمها وهو البياض، وأخذ من تكلل هامة جباله بالثلج الدائم، رغم ما للشمس من حرارة في مثل موقعه، فهو يغطي قممها قرابة ستة شهور في العام.

وهناك من يرى أن الصخور الكلسية البيضاء التي تغطي أعالي جبالها دائمًا هي التي أوحت بهذه التسمية، ولكني أميل إلى التعليل الأول: لأن الكثير من الصور الجمالية التي تفيض بها التوراة تتكئ على جبال لبنان، ويرد اسمه في العهد القديم من التوراة مرات كثيرة، وفي أسفار متعددة، وقد يتكرر ذكره في الإصحاح الواحد، ولنأخذ مثلاً من سفر، نشيد الإنشاد، الإصحاح الرابع، الآيات من ٨ إلى ١٥:

«هلمي معي من لبنان يا عروس، معي من لبنان.. قد سبيت قلبي بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك. ما أحسن حبك يا أختي العروس، كم محبتك أطيب من الخمر، وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب. شفتاك يا عروس تقطران شهدا. تحت لسانك عسل ولبن، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان. أختي العروس جنة مقفلة، عين مقفلة، ينبوع مختوم، أغراسك فردوس رمان مع أثمار نفيسة... وعود مع كل أنفس الأطياب، ينبوع جنات، بئر مياه حية وسيول من لبنان.

وفي سفر أرميا، الإصحاح الثامن عشر، الآية ١٤:

«هل يخلو صخر حقلي من ثلج لبنان؟ أو هل تنشف المياه المتفجرة الباردة؟».

وقد ضبط ياقوت الحموي الرومي (ت ٦٢٦هـ) في كتابه معجم البلدان لُبنان بضم اللام، وأورد لنا شعرًا فيه لابن الخراساني الطرابلسي يقول:[1]

ولا تعتبوني إذا خرجت مغاضبا

فمن بعض ما في ساحل الشام يغضب

وكيف التذاذي ماء دجلة معرقا

وأمواه لبنان ألذ وأعذب!

ونلتقي بالكلمة بالضبط نفسه في لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ)، وذكر أن ابن الأعرابي (ت ٢٣١هـ)، وهو من أوائل اللغويين قال: قال رجل من العرب لرجل آخر:

لي إليك حويجة، قال: لا أقضها حتى تكون لبنانية، أي: عظيمة.

ولكن أيًا من اللغويين أو أصحاب المعاجم، لم يشر إلى معنى الكلمة، أو إلى الأصل الذي اشتقت منه.

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ٥/ ١١، والخراساني الطرابلسي: أحمد بن الحسين بن حيدرة.

بقي أن أشير إلى أن طائفة من اللبنانيين تنطقها بكسر اللام «لِبنان»، وأحسب أن هذا النطق لهجة ضاربة في القدم[1]؛ وليس خطأ؛ لأنها لا تقف عند لفظ لبنان وحده، وإنما توجد في مجمل الأسماء التي تبدأ بحرف مضموم، فهم يقولون مثلاً:

لِبنان كِله، بكسر اللام والكاف.

وهي لهجة قديمة يمكن أن تختفي مع شيوع الثقافة[2].

* *

أولاً: موجز تاريخ لبنان:

كانت لبنان قبل أن تدخلها المسيحية بلدًا فينيقيًا بمعنى أن الفينيقيين كانوا بها في العصور السابقة للتاريخ المسيحي، وقد استقر الفينيقيون في منطقة الساحل المطلة على البحر الأبيض المتوسط، ولم يكن لهم حكومة موحدة، وإنما كانت كل مدينة تؤلف دويلة مستقلة تنشر سلطانها على المدن والقرى القريبة منها، وقد أدى هذا التفرق والتنافس بين المدن في المجال السياسي والديني إلى الحيلولة دون تأسيس دولة فينيقية واحدة تستطيع أن تجابه العدوان، وكان دين الفينيقيين هو الدين الوثني.

وقد انتقل إلى لبنان دين آخر - غير الوثني - عبر إليه من أرض فلسطين وهو التوحيد، وقد حافظ العبرانيون على عنصريتهم واستقلالهم عن باقي السكان وتكتلهم الطائفي وعدائهم المستمر للسكان اللبنانيين الوثنيين مما جعلهم يلاقون الاضطهاد من جانب المواطنين الوثنيين، إلا أن هذه الصورة قد أخذت صورة العداء اليهودي - الوثني في لبنان، وهذا العداء قد توقف نوعًا ما في القرن الميلادي الأول على أثر انتشار المسيحية في لبنان لوقوف الوثنيين واليهود صفًا واحدًا أمام الدين الجديد.

ثم دخل الإسلام لبنان على مراحل وفترات متعددة ابتداءً من عهد الأمويين، إلا أن الطابع العام في لبنان ظل حتى القرن الثالث عشر مسيحيًا، ولم يصبح للمسلمين كيان واضح في لبنان، إلا حين دخلت الجيوش الصليبية الشرق الأوسط غازية، فأرسل

---

(١) د. الطاهر أحمد مكي: مجلة الهلال، سبتمبر ٢٠٠٦م القاهرة.

(٢) وجدت قبائل عربية تكسر الحرف الأول، خاصة إذا كان حرف مضارعة، كما يصنع المصريون، وربما كسر الأول في لبنان يمتد إلى جذور بعيدة لهذه اللهجات، انظر: اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي: ١/ ٣٨٨ وما بعدها.

المماليك قواتهم المسلحة لتحاربهم وتحول دون اتصال مسيحيي لبنان بهم؛ لأن مسيحيي لبنان كانوا يمدون يد العون للصليبيين.

«وقد تأثر سكان لبنان المسيحيون بهذه الحروب، التي قامت تحت راية الصليب وباسم حماية الأرض المقدسة، وقد كانت النتيجة انحياز المسيحية في لبنان - وخاصة الموارنة - إلى صف الصليبيين أثناء هجومهم على سوريا، ثم أثناء إقامتهم فيها وحتى انسحابهم منها، في حين أن المسلمين في لبنان أظهروا العداء للصليبيين منذ وصولهم، بل شنوا عليهم الغارات واعتصموا داخل لبنان ضد الصليبيين»[1].

ثم انتقل لبنان إلى الحكم العثماني، إلا أن طائفة الدروز (المحمديين)، وطائفة الموارنة (المسيحيين) ظلت تتحكم في أمور البلاد طوال حكم العثمانيين.

وفي عام ١٨٣١م استولى إبراهيم باشا - ابن محمد علي باشا الكبير حاكم مصر - على لبنان، ومنذ ذلك التاريخ ولبنان يخضع للحكم المصري مباشرة، وقد أبرم حاكم لبنان في ذلك الوقت الأمير بشير تحالفًا مع إبراهيم باشا، ولكن سكان لبنان رفضوا هذا التحالف وأعلنوا الحرب عليه. وخرج الجيش المصري من لبنان عندما تدخلت الدول الأوروبية في السياسة العثمانية، وانتهى الأمر بمعاهدة لندن عام ١٨٤٠م، ومنذ هذا التاريخ بدأ التدخل الأجنبي المباشر في لبنان. ولم يكن هذا التدخل وقفًا على دولة دون الأخرى، ففرنسا وجدت في الطائفة المارونية ذريعة للتدخل، وإنجلترا تذرعت بحماية تجارتها وتدخلت في شئون لبنان، ثم استطاعت بسياستها أن تكسب صداقة الطائفة الدرزية، وروسيا أيضًا تحججت بأنها مسئولة عن حماية الأرثوذكسية في الدولة العثمانية.... إلخ.

وقد خلق خروج الجيش المصري من لبنان فراغًا كبيرًا استغله الكثيرون للتدخل في لبنان بحجة فض النزاع بين الطوائف اللبنانية المختلفة، إلا أن السلطان التركي كان يعرف أهداف الدول الأجنبية في لبنان فقرر تنصيب والي عثماني واحد على جميع الأراضي، وكان ذلك عام ١٨٤١م، واحتجت الدول الأجنبية على قرار السلطان العثماني، فرضخ خوفًا من تدخل هذه الدول في سياسة لبنان ووافق في عام ١٨٤٢م على منح «جبل لبنان» بعض الامتيازات ووافق على أن يكون للوالي العثماني نائبان أحدهما درزي،

---

(١) أنيس صايغ: لبنان الطائفي، بيروت ١٩٥٥م، ص ٧٣.

والآخر ماروني، وكل منهما يرعى شئون الطائفة التي ينتمي إليها.

وفي عام ١٨٥٣م أرسل قيصر روسيا يطلب من السلطان العثماني الاعتراف بحق روسيا الشرعي في حماية الأرثوذكس في الدولة العثمانية، ورفض السلطان هذا الطلب، ولكنه أمام ضغط روسيا وافق على منحها حق الإشراف على الأرثوذكس في الدولة العثمانية تنفيذًا لمعاهدة «كينارجي»[١].

إلا أن مآسي الفتن الطائفية عادت عام ١٨٥٧م تطل برأسها مرة أخرى على لبنان، وانتهت بوقوع المذبحة الفاصلة التي يطلق عليها مذبحة ١٨٦٠م والمشهورة «بمذابح دير القمر».

«ووجدت دول أوربا فرصتها في هذه الفترة فعقدت في الثالث من أغسطس عام ١٨٦٠م مؤتمرًا في باريس حضرته كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا، ثم انضمت إليه تركيا، وقرر المؤتمر شرعية التدخل الأجنبي في شئون لبنان، وعهد إلى كل من فرنسا وإنجلترا بالتدخل العسكري لإحباط الفتنة القائمة، وفعلاً نزل الجيش الفرنسي في نفس الشهر مدينة بيروت، وفي أوائل أكتوبر من نفس العام عقد مجلس دولي في بيروت يضم قناصل الدول ذاتها - التي اجتمعت من قبل في باريس - للبحث في قضية لبنان، غير أن تضارب المصالح السياسية المختلفة للدول المؤتمرة حالت دون اتفاقهم على مشروع موحد. وكانت النتيجة وضع مشروع جديد وافق عليه الجميع، يعرف باسم «بروتوكول لبنان»[٢].

وقد اشتمل بروتوكول لبنان على نقاط مهمة هي:

١ - منح جبل لبنان استقلالاً إداريًا على أن يديره حاكم مسيحي من غير أهل لبنان، ويكون تعيينه بناء على اقتراح الدولة العثمانية، وتوافق عليه الدول الكبرى، ومدة ولايته خمس سنوات.

٢ - أصبح لبنان إقليمًا واحدًا ولم يصبح منطقتين إحداهما للدروز، والأخرى للموارنة، ولكن قُسِّم إلى خمس مديريات، وإلى عدد من «القائمقاميات».

وكان نتيجة هذا البروتوكول سلخ بعض الأجزاء عن لبنان ومعظمها مناطق إسلامية

---

(١) فطين أحمد فريد: حروب لبنان، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٦.

(٢) دكتور حمدي الطاهري: سياسة الحكم في لبنان، القاهرة، ط١، ١٩٧٦م، ص ٤٩.

مثل صيدا وطرابلس وبيروت. وانحصر لبنان الجديد في ثلاثة أخماس لبنان القديم، وأطلق عليه اسم «لبنان الصغير»، وقد كان الهدف من ذلك أن يكون وجه لبنان الغالب مسيحيًا، حتى يسهل لهذه الدول السيطرة عليه!

وظل لبنان يتمتع عقب توقيع هذا البروتوكول بالاستقرار والحكم الذاتي حتى الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، ودخلت تركيا الحرب بجانب ألمانيا وسارع القائد التركي جمال باشا إلى احتلال لبنان وإلغاء استقلاله الفعلي وإلغاء الامتيازات الأجنبية.

إلا أن ذلك لم يمنع فرنسا من أن توثق علاقاتها يومًا بعد يوم بلبنان حتى تم وضعها تحت الانتداب الفرنسي المباشر بعد الحرب العالمية الأولى.

وكان إعلان انتهاء الحرب العالمية الأولى بمثابة تحرير البلاد العربية في آسيا من الحكم العثماني، إلا أن قوات الحلفاء التي قضت على حكم العثمانيين وجدت أنها أحق باحتلال هذه البلاد والاستفادة بخيراتها، وكانت اتفاقية «سايكس بيكو» من أكبر العوامل التي شجعت فرنسا بالتمسك بسوريا ولبنان.

وفي ذلك الوقت أبدى الموارنة رغبتهم في أن تمنح فرنسا حق الإشراف على لبنان، أو أن يوضع لبنان تحت الانتداب الفرنسي في حين أن غالبية العرب في سوريا كانت تكن العداء لفرنسا، وكان من رأيهم أنه إذا كان لا مفر من وضع بلادهم تحت إشراف دولة أجنبية، فلتكن هذه الدولة إنجلترا أو أمريكا.

وفي نوفمبر عام ١٩١٨م وجهت الحكومة البريطانية الدعوة للأمير فيصل للتباحث معها رسميًا في مستقبل سوريا والبلاد العربية، وهناك أوضح له الساسة البريطانيون بصراحة أن إنجلترا رغم عطفها على أماني العرب فإنها غير مستعدة للدخول في نزاع مع فرنسا بشأن موضوع سوريا.

وفي مطلع عام ١٩١٩م عقد «مؤتمر فرساي»، وناقش الموضوعات المترتبة على انتهاء الحرب وما حدث من تغيير في خريطة العالم نتيجة لذلك، وكان من موضوعات البحث موضوع الإمبراطورية العثمانية.

وفي ٢٠ من يناير صدر قرار عن المؤتمر يقضي بفصل جميع المناطق العربية عن الإمبراطورية العثمانية ووضعها تحت نظام جديد في ظل إشراف عالمي، وأطلق على هذا النظام «نظام الانتداب».

وفي هذا المؤتمر طالب الأمير فيصل الحلفاء بتنفيذ وعودهم، إلا أن بعض المندوبين اللبنانيين ذوي الميول الفرنسية الذين حضروا المؤتمر دون أن يكون لهم أية صفة تمثيلية طالبوا باستقلال لبنان ووضعه تحت الانتداب الفرنسي.

أما الصهاينة فقد أوفدوا مندوبين عنهم أمام المؤتمر لأخذ تصديق على وعد بلفور - الذي صدر عام ١٩١٧م - على أن توضع فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي... إلا أن المؤتمر لم يتخذ أي قرار في هذا الشأن.

وفي ٢٠ من مارس عام ١٩١٩م أعلنت فرنسا في «مؤتمر السلام» أن سوريا ستعامل على أساس أنها وحدة لا تتجزأ، وأنها ستوضع تحت الانتداب الفرنسي، وأما بالنسبة لفلسطين فقد اقترح أن تخصص لها إدارة دولية نظرًا لوضعها الخاص. وهكذا انتهى مؤتمر فرساي دون الوصول إلى اتفاق بشأن مستقبل البلاد العربية[1].

ولذلك تطورت الأمور بعد هذا المؤتمر الذي لم يحقق العرب ما كانوا يصبون إليه وحاول القوميون العرب تحدي الدول الكبرى، لكنهم فشلوا في ذلك، ثم عقد مؤتمر «سان ريمو» في ٢٦ من أبريل ١٩٢٠م لتقرير مصير أراضي الإمبراطورية العثمانية، وتقرر أن توضع المناطق الشمالية في سوريا تحت الانتداب الفرنسي والمناطق الجنوبية تحت الانتداب الإنجليزي بما في ذلك الالتزام بتنفيذ وعد بلفور، وردًا على ذلك أعلن الأمير فيصل أنه يرفض الاعتراف بأي نوع من الحكم الأجنبي على أراضي سوريا وفلسطين، وكان ذلك بداية التحدي.

ونتج على هذا التحدي دفع فرنسا بقواتها الموجودة في لبنان تجاه دمشق لاحتلالها ووقعت معركة «ميسلون» الشهيرة وقضي على القوات السورية ودخلت القوات الفرنسية مدينة دمشق في ٢٥ من يوليو ١٩٢٠م، وهرب فيصل، وثبتت فرنسا أقدامها.

وقد اعترفت تركيا في معاهدة «سيفر» عام ١٩٢٠م بالأمر الواقع.

وفي عام ١٩٢٢م اجتمعت عصبة الأمم المتحدة في لندن وبحثت موضوع الأراضي التي كانت واقعة تحت الحكم التركي وأمنت فرنسا وإنجلترا على حقهما في وضع يدهما في تلك المنطقة متجاهلة المبادئ الرئيسية الموضوعة أمامها، وخاصة تلك التي تنص على حق تقرير المصير.

---

(١) حروب لبنان، مصدر سابق: ص ١٨.

وكانت معاهدة «لوزان» التي عقدت بسويسرا عام ١٩٢٤م خاتمة المطاف في تأكيد حق فرنسا الشرعي والدولي في إدارة سوريا ولبنان، ومنذ ذلك الحين عملت فرنسا على توسيع رقعة لبنان على حساب الأراضي السورية. وكان قد ظهر لأول مرة لبنان الكبير، حيث أعلن الجنرال «جورو» باسم فرنسا قيام لبنان الكبرى، فانضمت إليه معظم المدن الكبرى حاليًا، وهي: بيروت وصيدا وطرابلس وسهل البقاع وبعلبك وراشيا ومرجعيون.

وقامت فرنسا بحكم لبنان حكمًا مباشرًا إلى أن أعلنت عام ١٩٢٦م بناء على رغبة الوطنيين اللبنانيين قيام جمهورية لبنان، وكان علم الدولة هو علم فرنسا مضافًا إليه شجرة الأرز، وصدر الدستور اللبناني الأول في العام نفسه، ورغم صدور الدستور فإن وضع فرنسا لم يتغير من الناحية الواقعية فقد ظلت صاحبة اليد الطولى في كل شيء. كل ما تغير هو أنها أصبحت تحكم من خلال واجهة لبنانية.

وفي عام ١٩٣٩م قامت الحرب العالمية الثانية، وأعلن المفوض السامي الفرنسي في سبتمبر الأحكام العرفية، وأوقف العمل بالدستور، وحل المجلس النيابي، وحد من سلطات رئيس الجمهورية.

وفي يوليو عام ١٩٤٠م احتل الألمان باريس بعد دخول إيطاليا الحرب بجانب ألمانيا، وقامت حكومة «فيشي» الموالية لألمانيا، وبالرغم من المحنة التي واجهتها فرنسا فإنها أعلنت على لسان الجنرال «منتل هوزر» بأنه لن يحدث أي تغيير في وضع الأراضي الواقعة تحت الانتداب الفرنسي، وأن فرنسا ستستمر في تأدية رسالتها في سوريا ولبنان.

وفي ١٨ من أبريل عام ١٩٤١م أعلنت حكومة «فيشي» انسحابها من عصبة الأمم، وبذلك فقدت فرنسا حقها الشرعي في أن تكون دولة منتدبة على سوريا ولبنان، وبدأ الوعي الشعبي في هذه البلاد يطالب بالاستقلال والحرية.

وفي ٢١ من سبتمبر عام ١٩٤٣م تم لأول مرة في ظل الحكم الفرنسي انتخاب رئيس جمهورية للبنان[1] بواسطة المجلس النيابي المنتخب. وفي أواخر عام ١٩٤٣م تمكن لبنان من الحصول على استقلاله السياسي.

---

(١) كان أول رئيس لجمهورية لبنان هو الشيخ بشارة الخوري.

ومرت الشهور وما زالت القوات الفرنسية في لبنان حتى اضطرت فرنسا إلى عقد اتفاقيتين مع لبنان - الأولى في ٢٢ من ديسمبر عام ١٩٤٣م، والثانية في الخامس من يناير عام ١٩٤٤م - تم بموجبها نقل السلطات من الإدارة الفرنسية إلى الحكومة اللبنانية. وفي عام ١٩٤٥م دخلت لبنان جامعة الدول العربية، وفي نهاية ديسمبر عام ١٩٤٦م أصبح لبنان دولة كاملة السيادة له حرية التصرف داخل حدوده دون أن يقيد هذا الحق أي تدخل أجنبي مباشر.

ثانيًا - التنظيم السياسي في لبنان:

كان التنظيم السياسي في لبنان منذ أن اتخذت الترتيبات لإجراء اتحاد سوري يضم كلاً من دول دمشق وحلب ودولة العلويين، وحتى استقلال لبنان النهائي. فالاتحاد السوري قد استبعد منه دولتا لبنان وجبل الدروز، وقد أعطيت للاتحاد سلطات تشريعية واسعة تمارس عن طريق مجلس اتحادي يتكون من مندوبين تختارهم المجالس التمثيلية التي كانت قد أنشئت داخل الدول الأعضاء في الاتحاد، إلا أن هذا الاتحاد لم يدم طويلاً، إذ أعلن انتهاؤه في ديسمبر عام ١٩٢٤م على يد الجنرال «فيجوند».

وفي يناير عام ١٩٢٥م تم اتحاد دولتا دمشق وحلب داخل إطار دولة واحدة أطلق عليها «دولة سوريا» عاصمتها دمشق، وينضم إليها لواء الإسكندرونة. وظلت دولة العلويين باقية دون أن يربطها بالدولة الجديدة أي رابطة.

ويمكن القول بأن التنظيم السياسي للمنطقة قد تطور، وانتهى بعد عدة تجارب إلى أن الأراضي الخاضعة للانتداب الفرنسي قد تفتتت إلى أربع وحدات سياسية مختلفة ابتداء من عام ١٩٢٥م، وهي:[١]

١ - دولة لبنان الكبرى.

٢ - دولة سوريا.

٣ - دولة العلويين.

٤ - حكومة جبل الدروز.

وظل هذا النظام قائمًا دون أن يطرأ عليه أي تعديل حتى عام ١٩٣٦م، حيث ألحقت

---

(١) أبحاث في التنظيم الإداري - الجمعية اللبنانية للعلوم السياسية، ١٩٥٩م.

في ذلك العام كل من دولتي العلويين وحكومة جبل الدروز بالدولة السورية. وفي عام ١٩٣٩م أعيد لكل دولة استقلالها التام مرة أخرى. وفي عام ١٩٤٢م عادت المجموعة مرة ثانية للدخول في رحاب الدولة السورية[١].

* * *

الطوائف في لبنان

تتعدد الطوائف داخل المجتمع اللبناني، وترجع معظم المشاكل الموجودة بلبنان ليس إلى وضعه الطائفي، بل إلى نظرة الشك والحذر التي تنظر بها كل طائفة إلى الأخرى، وما يعتمل داخل كل طائفة من صراع، فقسم من سكان لبنان يؤمن بالعروبة وتجذبه القومية العربية، وقسم آخر يؤمن بالحضارة الغربية ويتجه إليها ويخشى أن يذوب لبنان في مجموعة عربية كبيرة ذوباناً يفقده استقلاله وكيانه وطابعه الخاص[٢].

ونظام الحكم حائر بين هذا الشد والجذب، يصفه البعض بالعجز، ويتهمه الآخرون بالتقصير، ويطالب المعتدلون بإجراءات حاسمة لتعديله محافظة على الكيان اللبناني... وكل حركة من فريق يصفها الآخرون بأنها تعرض الكيان اللبناني للخطر... مما جعل الآراء تكثر وتتفاوت حول طبيعة هذا الكيان.

«فالبعض يرى أن الكيان من صنع اللبنانيين أنفسهم، ويرى الآخرون أن فرنسا هي التي خلقت هذا الكيان، وآخرون يرون أن خلق الكيان لم يكن من أهداف السياسة الفرنسية التي استطاعت أن تحقق أطماعها فسيطرت على لبنان سيطرة كاملة واستطاعت أن تفصل المنطقة الساحلية من سوريا بعيداً عن حكم الدولة العربية الفيصلية، واتجهت فرنسا عقب ذلك إلى إنشاء حكومة طائفية بلبنان، وبدأت تغرس في النفوس الخوف على الكيان من مطامع الجيران»[٣].

وللكيان مفهوم لدى رجال السياسة يخالفهم فيه رجال القانون... فرجال السياسة

---

(١) كمال جنبلاط: في مجرى السياسة اللبنانية، بيروت، ط١، ١٩٥٩م.

(٢) حمدي الطاهري: سياسة الحكم في لبنان، ص ٣٢.

(٣) كاظم الصلح: مجلة الخواطر، العدد ١٩ في ١٩/ ٥/ ١٩٦١م.

يرون أن الكيان اللبناني لم يكن بعيداً عن التصميمات الاستعمارية والدليل على ذلك محاولة الاستعمار، تقطيع أوصال الدولة العربية الواحدة إلى عدة دول، وقد أكد ذلك موقف فرنسا عندما خلقت أول حكومة في لبنان، ثم اتبعتها بإنشاء حكومة علوية، وحكومة درزية، وحكومة سنية في سوريا[1]، أما رجال القانون فيعتبرون أن الكيان اللبناني من أبرز الأمثلة في تاريخ الشعوب على تكوين مجتمع من جماعات مختلفة تركت أوطانها، وتركت ما تملك من روابط معنوية ومادية، وأتت إليه لاجئة طلبًا للحماية من غادر طامع أو طمعًا بمستوى أفضل في الحياة الهانئة. فنشأ من لقائها ومن وحدة أهدافها على ما كان بينها من تباين في المنبت والدين والميول مصالح واحدة ضمها نطاق واحد ولدت منه شعورًا واحدًا بأنه لا غنى لبعضها عن البعض الآخر في تأمين هذه المصالح، وأنه لا مفر لهم من ضم الجهود وتنسيقها لتحقق الهدف الجامع من المجيء وهو الحفاظ على الحياة والأعراض وتحقيق سبيل العيش الراغد والدفاع عنها في وجه الطامعين[2]... وبولادة هذه الفكرة الأصيلة الواحدة التي ربطت الجماعات اللبنانية وجد المجتمع في لبنان ونشأ عنه الكيان اللبناني، وهو يختلف عما عداه من الكيانات من حيث تكوين المجتمع الذي تتآلف فيه، ومن حيث الأهداف التي تعتمل وتتفاعل في جماعاته.

أما الأهداف فهناك تناقض واضح بين الجناحين اللذين يتألف منهما لبنان، هناك فئة لا تريد استقلالاً وتبرر موقفها بأن بقاء استقلال لبنان ومحافظته على طابعه الخاص هو عقبة في سبيل الوحدة العربية، وإذا بقي لبنان على استقلاله كان ممرًا للاستعمار وأن الكيان اللبناني وجد لكي يجمع الأقلية المسيحية في الشرق، وهذا أمر لا يستوجب إنشاء دولة في لبنان ما دامت دول الشرق الإسلامية تؤمن للأقلية فيها ممارسة شعائرها الدينية وتضمن لها حرية الإقامة والتملك وغيرها من الحريات[3].

ورد الفريق الآخر على ذلك أن استقلال لبنان ليس عائقًا في سبيل وحدة عربية، ولكن ما يحول دون تحقيقها إنما هو عقبات محلية وخلافات تاريخية واعتبارات

---

(١) حمدي الطاهري: سياسة الحكم في لبنان، ص ٣٣.

(٢) عبده عويدات: النظم الدستورية، بيروت، ط١، ص ٤٣٠.

(٣) حمدي الطاهري: مصدر سابق، ص ٣٤.

جغرافية ومصالح دولية وسياسات عالمية[1].

«وكان نتيجة الانقسام في الرأي أنه أصبح في الواقع فريق كبير يعيش في لبنان على الازدواجية في التفكير والشعور بالولاء للوطن.

فريق يضمر الولاء للبنان، وللغرب، أي لمصدر وباعث القضية الطائفية السياسية في لبنان، وفريق آخر يتوجه بالولاء للبنان وللعروبة التي لا يمكن أن تنفصل واقعًا وتاريخًا عن قضية وكيان واستقلال لبنان»[2].

وأما عن أثر الانتداب الفرنسي على الكيان اللبناني فيظهر في محاولات بناء وطن قومي مسيحي في الشرق منذ مطلع القرن الثاني عشر عندما أراد الغرب أن ينفذ هذه الخطة فجرد حملاته الصليبية المعروفة، فلما فشل حينذاك عاد من جديد في نهاية القرن الثامن عشر تحت قيادة نابليون، رغم أن هذه الحملة كانت عسكرية، فإنها تركت آثارًا فكرية ودينية ترتب عليها إنشاء فرنسا مؤسسات تبشيرية ومعاهد ثقافية ودور للطباعة والصحافة، مما أدى إلى إيجاد وعي شعبي طائفي في البلاد[3].

«ومنذ مطلع القرن العشرين أتاحت الظروف لشغل لبنان أن يكون بعيدًا عن صراع الحياة والمصير فقد وجد الكيان فجأة بين يديه مع تحقيق أهدافه في الحصول على استقلال إداري نسبي في عهد الانتداب وكانت معركة الاستقلال عام ١٩٤٣م نزهة صغيرة لم يعقها إلا شيء قليل من الصعاب وكانت المعركة تقوم في الواقع بين إنجلترا وفرنسا، وجاء الانقلاب الأبيض عام ١٩٥٢م، فلم يتجشم فيه اللبنانيون إلا شيئًا ضئيلاً من المشاق وفي الخارج كان اشتراك لبنان في حرب فلسطين رمزيًا لا أكثر، ولم يحظ لبنان بمواجهة المحنة الشديدة في الداخل أو الحرب القاسية الضروس في الخارج لكي يفعل في أبنائه سحر التوحيد والانصهار من ذهنية التفرقة ومن التوقف عند صراعات الحياة وعوارضها»[4].

وكان للانتداب أثر كبير في التفرقة بين اللبنانيين انعكس على الكيان نفسه، مما جعل البعض يشكون في حقيقة وجود كيان مستقل لبلدهم إذ كان يتملق المسيحيين أكثر

---

(١) يوسف السودة: بين الوطنية والطائفية، بيروت، ط١، (د. ت).

(٢) كمال جنبلاط: في مجرى السياسة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٠م، ص ٧٦.

(٣) المصدر نفسه: ص ٧٣.

(٤) نفس المصدر السابق، ص ٥٠.

من المسلمين وكان يأتمن المسيحيين أكثر من المسلمين وكان يفضل المسيحيين في تبوء المراكز الحكومية العالية وكان إنجيله في الحكم «فرق تسد» فأذكى روح البغضاء بين جناحي لبنان. وكانت النتيجة أن دخل في أذهان جهلاء المسيحيين أن لبنان بلد مسيحي الطابع، ويجب أن يبقى هكذا، ولو كان نصف سكانه غير مسيحيين!! ودخل في أذهان جهلاء المسلمين أن طابع لبنان مسيحي هو تحد للعروبة والإسلام فشهروا عداءهم على فرنسا وعلى لبنان[1].

ونتيجة لهذا التناقض في التفكير نجد أن بعض اللبنانيين لا يعترفون بأن لبنان تشكل دولة كاملة، على أساس ما تتقصه لكي تكون دولة هو الشيء الأساسي الذي يجمع بين كل مجتمعات الأرض حتى البدائية منها وهو الرغبة المشتركة في التعاون لما فيه خير المجموع والانسجام بين كل الفئات للوصول إلى هدف واحد مشترك[2].

ويتساءل المخلصون من أبناء لبنان عن كيفية بناء وطن في الوقت الذي فشلت فيه كل المساعي لتوحيد المجتمع اللبناني. ولا تزال هناك بحوث وبحوث تتعلق بالكيان والاستقلال، فإذا كان لا يزال هناك خوف بين فريق وآخر، وخوف مشترك على لبنان وخوف على امتيازات البعض فيه، وخوف من انتشار التعليم أو انتشار ثقافة من نوع معين... إلخ، فإن مصير مثل هذا المجتمع مهما طال الأمد هو الانهيار والتفكك. فالشعور الوطني المشترك هو الذي يحفظ الكيان من الهزات المتوالية.

ومع أن هناك شبه إجماع على أن الاستعمار هو الذي شجع على تركيز الطائفية، وأن الطائفية هي سبب علة لبنان، وأن العلاج ليس إلا في التخلص منها، فإننا نجد أصواتًا تعارض هذا الرأي بحجة أن إلغاء الطائفية في لبنان يجر معه إلغاء الكيان السياسي الراهن؛ لأن هذا الكيان بشكله الحالي هو الذي يكفل لرجل الدين مزاولة حرياته بشكل استقلالي تام... بالإضافة إلى ذلك فهم يعتبرون إلغاء الطائفية خديعة، بل هي مؤامرة على لبنان[3].

وبعد هذا العرض السريع للكيان اللبناني وأثر الانتداب عليه سوف أتناول الطوائف في لبنان، على النحو التالي:

---

(١) دكتور جورج حنا: العقدة اللبنانية، بيروت، ١٩٥٧م، ص ١٥.

(٢) حروب لبنان: مصدر سابق، ص ٢٥.

(٣) كمال يوسف الحاج: فلسفة الميثاق الوطني، بيروت، ١٩٦١م، ص ١٩٦.

(أ) الطوائف المسيحية.

(ب) الطوائف الإسلامية.

ويتفرع عن كل طائفة من هاتين الطائفتين مذاهب مختلفة سوف نوضحها كالآتي:

(أ) الطوائف المسيحية:

الطوائف المسيحية في لبنان عبارة عن الموارنة وهم يشكلون الغالبية المسيحية، والروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، والأرمن، والأقليات، وهي عبارة عن طائفة البروتستانت، والطائفة الإنجيلية، والعلويين، والأشوريين، ويمكن أن يُضم إليهم اليهود، على الرغم من التباين العقائدي بينهم.

١ - الموارنة:[1]

الطائفة المارونية في لبنان تشكل غالبية مسيحية، ومنها يُنتخب رئيس الجمهورية، وقد كان للبعثات التبشيرية والفرنسية منها بوجه خاص أثر مهم في ثقافة الموارنة، وازداد هذا الأثر رسوخًا بعد أن أعلنت فرنسا أنها حامية «الكثلكة» في الشرق، وبعد أن دخلت جيوشها لبنان في مطلع النصف الثاني من القرن العشرين.

ونتيجة للقوة التي منحت للطائفة المارونية نجد أنها ممثلة في مجلس النواب بثلاثين نائبًا في حين أن العدد الكلي للمجلس تسعة وتسعون نائبًا، ويتجلى نفوذ الطائفة في منطقة جبل لبنان، حيث جرى العرف بأن يكون رئيس الجمهورية من بين أبنائه، وكذلك معظم الوزراء من الموارنة، كما أن قيادة الأحزاب السياسية المارونية المختلفة في يد محافظة جبل لبنان.

والشعور السائد لدى الطائفة المارونية هو أن لبنان الذي قام كيانه على أكتافهم يجب أن يبقى لهم فيه نصيب الأسد، وهم يرون أن لبنان «لبناني» لا عربي ولا غربي.

---

(١) اختلفت الآراء حول أصل الطائفة المارونية، فقيل: إنها نسبة إلى رهبان دير القديس مارون الواقع على ضفاف نهر العاصي، وقيل: إنهم أتباع الراهب مارون، وكان يسكن ديرًا على مقربة من حماه في القرن السابع الميلادي. وأيًا ما كان الأمر فإن الآراء متفقة على أن الموارنة شعب مسيحي كاثوليكي العقيدة، وقد اشتق اسم الموارنة من القديس الراعي للطائفة (مارون). انظر: مرفت أسعد عطا الله. العلاقات بين مصر ولبنان في عهد محمد علي - سلسلة تاريخ المصريين (٢٥٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م، ط١، ص ١٤٦ وما بعدها.

فيه من الشرق سماحته وروحانيته، وفيه من الغرب مدنيته وثقافته، ويستنكرون أن يلصق بعض الناس «العروبة» بلبنان.

٢ - الروم الأرثوذكس:

الروم الأرثوذكس عرب في أنسابهم، فهم ينتمون إلى الغساسنة الذين كانوا في سوريا عند الفتح العربي وساعدوا الفاتحين العرب ضد الروم، وتغلب عنصريتهم على دينهم فأسلم قسم منهم، وبقي قسم آخر على دينه القديم مع اندماج الجميع اندماجًا كليًا في المجتمع الإسلامي، وبذلك تجد أن أوضاع الروم الأرثوذكس تختلف في لبنان عن أوضاع الموارنة اختلافًا كليًا.

«وحينما أعلنت فرنسا أنها حامية «الكثلكة» في الشرق، أعلنت روسيا أنها حامية للأرثوذكسية في نفس المنطقة، فلما قامت الثورة الشيوعية وتنكرت للدين لم يجد الأرثوذكس دولة أوربية يتجهون إليها كما اتجه غيرهم، إذ إن اليونان أكبر الدول الأرثوذكسية كانت ضعيفة، فصرفوا النظر عن طلب الحماية الأجنبية وفضلوا العمل كمواطنين تهمهم مصلحة بلادهم. ولما كان مقر كرسي البطريرك الأرثوذكسي في دمشق فإن أبناء الطائفة في لبنان اضطروا إلى مسايرة خطة إخوانهم في سوريا»[١].

ويمثل الطائفة الأرثوذكسية في المجلس النيابي أحد عشر عضوًا، ولهم في الوزارة مناصب معينة.

٣ - الروم الكاثوليك:

كان أفراد هذه الطائفة ينتمون أصلاً إلى الكنيسة الأرثوذكسية، ثم انشقوا عنها واعتنقوا «الكثلكة»، واحتفظوا باسمهم القديم «الروم» واستبدلوا لفظ الكاثوليكية بالأرثوذكسية ولهم بطريرك مقره بيروت، وأهمية الطائفة ليست في كثرة عددها، إنما يتميز معظم أفرادها بالثراء الفاحش واحتلال المراكز الحساسة. ويمثل هذه الطائفة في المجلس النيابي ستة نواب، ويمثلها عادة في الوزارة وزير واحد، هو وزير الخارجية، وذلك منذ عام ١٩٦٠م[٢].

---

١) جورج حنا: العقدة اللبنانية، مصدر سابق.

٢) حمدي الطاهري: مصدر سابق.

٤ - الأرمن:

ينقسم الأرمن إلى طائفتين: الأرمن الأرثوذكسي ولهم أربعة مقاعد بالمجلس النيابي، والأرمن الكاثوليك ولهم مقعد واحد.

والأرمن طائفة منظمة متضامنة، مما جعل لها كيانًا قويًا يؤثر في السياسة الداخلية في لبنان ولو بصورة غير مباشرة.

وقد طالب الأرمن عام ١٩٥٥م بأن يكون لهم مقعد في الوزارة وقد تحقق لهم ذلك في عام ١٩٦٠م.

وتضم طائفة الأرمن عددًا كبيرًا من كبار الأطباء، والصيادلة، ورجال الأعمال، كما أن أعمال الصيرفة تكاد تكون محصورة فيهم إلا أن الأكثرية الساحقة تعيش في فقر مدقع، وما تزال تقيم في أكواخ صغيرة في ضواحي بيروت، ويمارسون مهنًا متواضعة.

٥ - الأقليات:

وقد خصص لها القانون اللبناني مقعدًا واحدًا في البرلمان، واتفق على أن يكون مقر الترشيح له مدينة بيروت ويمكن أن يرشح له أي فرد من أفراد هذه الأقليات دون تخصيص.

والأقليات في لبنان هي: الطائفة البروتستانت، الطائفة الإنجيلية، العلويين، الأشوريين، اليهود.

وفيما عدا اليهود فليس لهذه الطوائف تأثير واضح أو نفوذ في السياسة اللبنانية داخليًا أو خارجيًا، وقد ازداد عدد اليهود في لبنان عقب حرب فلسطين وهجرة بعض يهود سوريا إلى بيروت.

(ب) الطوائف الإسلامية:

يشكل المسلمون بطوائفهم الثلاث: السنة، والشيعة، والدروز[1] ما يزيد على نصف سكان لبنان، ولهذا سوف نتناول هذه الطوائف كالآتي:

---

(١) هذا لو اعتبرنا الدروز ضمن الفرق الإسلامية، مع أن بعض الأئمة من السُّنَّة يعتبرونهم غير مسلمين.

أ - السنة:

من المعروف أن المسلمين يتركزون في لبنان في مدينتي بيروت وطرابلس، ويمثل الطائفة في جميع أنحاء لبنان عشرون نائبًا في المجلس النيابي، تتفرد بيروت وحدها بربع عدد النواب، وهناك بعض وجوه الاختلاف بين وضع كل من مسلمي بيروت وطرابلس. مسلمو بيروت أغلبهم من أهل السنة في طليعة المسلمين اللبنانيين، بين أيديهم تتركز قوة المسلمين وهيبتهم وهم بطبيعتهم يعملون بالتجارة منذ قديم الزمان. هذا وقد ظلت مدينة بيروت تستأثر بمعظم وظائف الدولة من رئاسة وزراء أو وزراء سنيين.

أما عن مسلمي طرابلس من أهل السنة وموقفهم بالنسبة للكيان اللبناني يختلف اختلافًا كليًا عن موقف مسلمي بيروت، وهذا يرجع أولاً وأخيرًا إلى الوضع الجغرافي لطرابلس الذي يربطها ربطًا محكمًا بسوريا.

٢ - الشيعة:

المسلمون الشيعة في لبنان أقل من المسلمين السنة من حيث العدد، ويقيم معظم أبناء الطائفة الشيعية في جنوب لبنان وفي بعلبك والهرمل، كما يقيم فريق منهم في مدينة بيروت.

ويمثل الشيعة في مجلس النواب تسعة عشر نائبًا، وقد أصبح تقليدًا أن يكون رئيس مجلس النواب شيعيًا، كما يمثل الشيعة في الوزارة عادة بوزيرين.

والطائفة الشيعية ليس لها أحزاب سياسية متعددة، فإن بعضهم ينتظم في أحزاب الطوائف الأخرى، وينتظم عدد كبير من الشيعة في صفوف حزب الكتائب الماروني، ويقدر عدد المنتمين منهم إلى الحزب بحوالي أكثر من ثلاثة آلاف شخص، إضافة إلى حزب الله في الجنوب اللبناني، وهو يضم عشرات الآلاف.

٣ - الدروز:[1]

يمثل الدروز في لبنان طائفة مستقلة، بالرغم من أنهم في الأصل إحدى الفرق

(١) اختلف المؤرخون في لفظة درزي، وهي بضم الدال وسكون الراء أم بفتح الدال والراء كليهما، ذلك أن هناك شخصين ارتبط كل منهما بالدروز سلبًا وإيجابًا، فهناك محمد بن إسماعيل الدرزي الفارسي الأصل وهو أحد الداعين لتاليه الحاكم بأمر الله الفاطمي، وقد بشر بمذهبه في =

الدينية المتفرعة عن الشيعة، خاصة «الإسماعيلية»، وكانت بدايتها عام ١٠١٨م تقريبًا في عهد الحاكم بأمر الله، فإنها أصبحت طائفة مستقلة بنفسها لها عقائدها وكيانها.

والدروز في الواقع من الطوائف الباطنية والمذاهب السرية التي ظهرت في الإسلام، والتي ظلت عقائدها مجهولة حتى بين أبناء الطائفة نفسها.

وتتركز قوة الدروز في محافظة جبل لبنان جنبًا إلى جنب مع أبناء الطائفة المارونية ويتركزون في منطقة الشوف، كما يقيم جزء منهم في منطقة راشيا على أن الجزء الأكبر منهم يقيم بجبل الدروز بسوريا، ويوجد عدد قليل منهم يقيم بإسرائيل بالقرب من الحدود اللبنانية الإسرائيلية[1].

ويمثل الدروز في البرلمان ستة نواب، من بينهم خمسة عن الدروز المقيمين في جبل لبنان، ويمثلهم في الحكم عادة وزيران.

وتنقسم قبائل الدروز سياسيًا إلى قسمين: آل أرسلان، وال جنبلاط.

* * *

الأحزاب السياسية في لبنان

الواقع الحزبي في لبنان هو انعكاس للواقع الاجتماعي والفكري والسياسي، ومن الطبيعي جدًا أن يبدو نشاط لبنان الحزبي مضطربًا متناقض المواقف، سطحي النظرات والأغراض؛ لأن أصحاب هذا النشاط أكثريتهم الساحقة لم يستطيعوا أن يتفوقوا على الواقع اللبناني، كما أن لبنان محروم من رأي عام تتمسك به أطراف الشعب فإن الحزبية اللبنانية محرومة من رأي عام لبناني يتجاوز وحداته الطائفية تلك

= وادي التيم الموطن الأول للدروز، وهو المعروف باسم نشتكين الدرزي.

وهناك أبو منصور أنو شتكين الدرزي، وهو أحد قواد الحاكم بأمر الله، ويقال: إن الطائفة تُنسب إلى هذا الأخير، وما زال الدروز حتى اليوم يلعنون نشتكين، ويجلون أنو شتكين، ومن هنا ذهب بعض المؤرخين إلى أن الدرزية نسبة عسكرية، أما الاسم العقائدي فهو الموحدون.

هذا وقد أشيع عن الدروز أنهم من أصل فارسي أو آرامي أو فرنسي أو إنجليزي فعلى سبيل المثال أشيع أنهم ينتسبون إلى القائد الفرنسي الصليبي دروز، ولكن المعنيين بالأمر يقولون: إنهم عرب خُلّص من بني لخم وتنوخ. انظر: العلاقات بين مصر ولبنان – مصدر سابق، ص ١٤١.

(١) انظر: محفوظ عبد العال: الدروز في إسرائيل، ص ١٧، وما بعدها.

التي تعكس تفككه الاجتماعي والفكري والسياسي.

هذا وسوف أعرض فيما يلي الأحزاب اللبنانية القائمة، وسوف أتعرض بصورة سريعة لبعض الأحزاب غير المرخص لها بالعمل قانونًا مثل: «حزب البعث العربي»، أو الأحزاب التي حلت وفقدت وجودها القانوني مثل «الحزب القومي الاجتماعي»، والسبب في التعرض لها هو أنه رغم عدم وجودها القانوني، فإن أثرها ونفوذها موجود وواضح في معظم المناطق اللبنانية بشكل أقوى مما تتمتع به الأحزاب الشرعية.

الأحزاب في لبنان:

تعددت الأحزاب في لبنان، ويمكننا تصنيفهم كالتالي:

أحزاب طائفية، وأخرى عقائدية، وثالثة أحزاب تقليدية، وأخيرًا أحزاب ذات طابع خاص.

(أ) الأحزاب الطائفية:

١ - حزب الكتائب.

٢ - حزب النجادة.

١ - حزب الكتائب:

تأسست الكتائب اللبنانية في عهد الانتداب الفرنسي عام ١٩٣٦م، وكان مؤسس هذا الحزب هو الشيخ بطرس الجميل. ولم يعترف بالحزب قانونيًا إلا في ديسمبر عام ١٩٤٣م عقب استقلال لبنان، وكان اهتمامه بالغًا بتقليد العسكريين من تدريبات للأعضاء وارتدائهم لأزياء شبه عسكرية.

هذا وقد حل الحزب في يوليو عام ١٩٤٣م باعتباره منظمة شبه عسكرية، إلا أنه بعد ذلك لم يدم سوى ثلاثة أيام فاضطرت الحكومة بعدها إلى التراجع عن موقفها تحت ضغط أعضاء الحزب.

وحزب الكتائب في غالبيته يضم معظم أبناء الطائفة المارونية، ودستور الحزب لا يمنع من انضمام أبناء الطوائف الأخرى لعضويته، وعلى هذا الأساس انضم إليه بعض الشيعة.

دستور الحزب:

يحتوي دستور الحزب على عدة مبادئ من أهمها مبدأ فكرة القومية اللبنانية، والعمل على إبرازها، وهذا المبدأ يحتضنه الحزب ويجند كل قوته من أجله. وعلى هذا الأساس فإن الحزب يرى أن لبنان وطن مستقل بحدوده المبينة في الدستور المعلن في مايو عام ١٩٢٦م، واللبنانيون من مقيمين ومغتربين أمة ذات قومية مميزة تجمعهم إرادة في الحياة مشتركة وتاريخ مشترك ومصلحة اقتصادية واحدة، ولغة وثقافة وأهداف وطنية وإنسانية مشتركة. وينادي الحزب بقومية تقدمية تسهل للمواطن إمكانيات التحرر المعنوي والمادي بتيسير جميع الوسائل.

ويطالب الحزب بأن تكون هذه القومية علمانية تحترم جميع الأديان والمعتقدات، وتأبى أن يكون للدولة دين أو معتقد خاص بها.

وشعار الحزب هو «الله، الوطن، العائلة»... ويصدر الحزب صحيفة تنطق باسمه هي جريدة «العمل»[1].

٢ - حزب النجادة:

أنشئ عام ١٩٣٧م على النمط العسكري كحزب الكتائب.

ويضم حزب النجادة في مجموعه بعض المسلمين من طائفة السنة، وقانونه مفتوح للجميع، فلا يمنع من انضمام أي فرد من باقي الطوائف الأخرى لعضويته؛ لأن الحزب يرى أن الدين مسألة شخصية ليس من حق الفرد التدخل فيها، ولكن نادرًا ما ينضم إليه عضو مسيحي، وللحزب صحيفة تنطق باسمه هي «صوت العروبة».

وإذا كان حزب الكتائب يمثل العنصر الطائفي للموارنة، فالنجادة يمثل العنصر الطائفي للسنية، ولهذا الحزب مواقف معينة خاصة بالنسبة للميثاق الوطني والمطالبة بإحصاء السكان والمطالبة بأن تكون رئاسة الجمهورية دورية بين المسلمين والمسيحيين...

دستور الحزب:

نص القانون الأساسي للحزب على أن العرب من كانت لغتهم العربية أو يقطنون البلاد العربية، وليس لهم في الحالتين أية عصبية تمنعهم من الاندماج في القومية

---

(١) جورج مكاف: حقائق لبنانية، بيروت ١٩٦٠م، ص ٢٨.

العربية، وأنهم متساوون في الحقوق والواجبات.

ويهدف دستور حزب النجادة إلى جمع الشباب اللبناني وتوحيدهم وربطهم باتحاد مع بقية الدول العربية. ويعتبر الحزب أنه حزب قومي عربي ديمقراطي اشتراكي تعاوني هدفه نشر رسالته في ضوء مفاهيم أهمها: أن العرب أمة واحدة، والوطن العربي وحدة طبيعية يحده المحيط الأطلسي غربًا، والخليج العربي شرقًا، وجبال طوروس شمالاً، والصحراء الإفريقية الكبرى والمحيط الهندي جنوبًا، وأن القومية العربية فوق كل عصبية.

(ب) الأحزاب العقائدية:

١ - الحزب القومي الاجتماعي (أو الحزب القومي السوري).

٢ - الحزب الشيوعي.

٣ - الحزب التقدمي الاشتراكي.

٤ - حزب البعث العربي الاشتراكي.

١ - الحزب القومي الاجتماعي (أو الحزب القومي السوري):

ظهر هذا الحزب في لبنان عام ١٩٣٢م، وقد أنشأه «أنطون سعادة» وهو أرثوذكسي، وكان لمذهبه أثر كبير في انتشار مبادئ حزبه، إذ أن معظم معتنقي مبادئه من المسيحيين من طائفة الروم الأرثوذكس، وذلك بالرغم من مناداة الحزب بمحاربة الطائفية، ويضم الحزب عددًا كبيرًا من المسلمين والدروز.

مبادئ الحزب:

تتخلص مبادئ الحزب فيما يلي:

١ - ينادي الحزب بأن سوريا للسوريين، والسوريون أمة واحدة.

٢ - القضية السورية هي قضية قومية قائمة بنفسها، مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية أخرى، وهي قضية الأمة السورية والوطن السوري.

٣ - الوطن السوري هو البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الأمة السورية، وهي ذات حدود جغرافية تميزها عما سواها وتمتد من جبال طوروس في الشمال الغربي وجبال البختياري في الشمال الشرقي إلى قناة السويس والبحر الأحمر في الجنوب شاملة

شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة. ومن البحر السوري في الغرب (البحر الأبيض المتوسط) شاملة جزيرة قبرص إلى قوس الصحراء العربية وخليج العجم من الشرق، ويعبر عن هذا كله باصطلاح «الهلال السوري الخصيب ونجمته جزيرة قبرص»[1].

هذا وقد طورد الحزب مطاردة عنيفة، واعتقل رئيسه، وأعدم في عهد رئيس الجمهورية الأسبق «بشارة الخوري»، إلا أنه في عهد الرئيس «كميل شمعون» ازدهر الحزب ازدهارًا كبيرًا، وأصدر صحيفة تحمل شعاره وتنطق بلسانه، إلا أن الحزب قد انهار عقب قيام الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨م.

٢ - الحزب الشيوعي:

تعود نشأة الحركة الشيوعية في لبنان وسوريا إلى عام ١٩٢٥م على أثر الثورة السورية التي قامت ضد فرنسا في ذلك العام.

وطوال فترة الانتداب الفرنسي ظل الحزب الشيوعي في لبنان مرتبطًا بقيادة الحزب في سوريا، وفي عام ١٩٤٣م اجتمع قاد الحزب في البلدين وقرروا استقلال كل حزب بشخصيته وموارده على أن يظل التعاون والتوجيه من حق الرئاسة في سوريا، إلا أن واقع الأمر أن أية توجيهات ترد للحزبين كانت تأتي من المقر المركزي لقيادة الحزب الشيوعي في الخارج.

الحزب غير معترف به رسميًا في لبنان، إلا أن ذلك لم يمنعه من ممارسة نشاطه على نطاق واسع، وتوجد علاقة وثيقة بين الحزب الشيوعي في لبنان وحزب الهانشاق الأرمني.

هذا وقد أبرز دستور الحزب ضرورة تأمين الانسجام والتعاون بينه وبين الأحزاب الشيوعية في جميع أنحاء العالم.

٣ - الحزب التقدمي الاشتراكي:

هذا الحزب هو الحزب الوحيد في لبنان الذي يتبنى سياسة اشتراكية، ويتميز هذا

---

(١) مخطوطة لأسد الأشقر - نائب رئيس الحزب في محفوظاته التي أذاعتها المحكمة العسكرية اللبنانية عام ١٩٦٢م.

الحزب أيضًا بأنه يجمع بين نقيضين، شخصية رئيس الحزب ومؤسسه، وهو السيد «كمال جنبلاط»، وبين المبادئ التي يتبناها، فرئيس الحزب ينتسب إلى عائلة من أعرق العائلات الدرزية، ولم يُعرف عنها الميول الاشتراكية.

دستور الحزب:

الحزب التقدمي الاشتراكي هو حزب العمال والفلاحين والمزارعين وأرباب الحرف ورجال الفكر والمهن الحرة والعناصر الواعية والمخلصة من البورجوازية الوطنية، ويعمل الحزب على الجمع بين النقيضين: بين النظام والحرية، بين الأخلاق والقانون، بين الفردية الشخصية والاجتماعية، بين العمل والتأمل، بين الشرق والغرب، بين القديم والحديث، أي ديمقراطية شعبية منظمة.

٤ - حزب البعث العربي الاشتراكي:

ينسب هذا الحزب إلى سوريا، فسوريا كانت مهد الحزب منذ نشأته، وفي عام ١٩٥٣م اتخذ شكله الحالي نتيجة دمج حزب البعث الذي أسس عام ١٩٤٠م، والحزب العربي الاشتراكي الذي أسس عام ١٩٥١م.

ولحزب البعث عامة قيادة قومية تضم جميع الأقطار العربية، وكان مركزها دمشق قبل الوحدة بين مصر وسوريا.

وأهداف الحزب تؤكد أن نشاطه في لبنان يهدف إلى التركيز على علمانية الدولة والإصرار على الناحية الاشتراكية، واتباع الوسائل الديمقراطية في جعل الوحدة العربية مطلبًا شعبيًا عامًا لكل الفئات.

والحزب يرى أن العرب أمة واحدة لها حقها الطبيعي في أن تحيا في دولة واحدة، وأن تكون حرة في توجيه مقدراتها، ولهذا فإنه يعدّ الوطن العربي وحدة سياسية اقتصادية لا تتجزأ.

(ج) الأحزاب التقليدية:

١ - حزب الكتلة الوطنية.

٢ - حزب الاتحاد الدستوري (الكتلة الدستورية).

٣ - حزب النداء القومي.

٤ - حزب الوطنيين الأحرار.

١ - حزب الكتلة الوطنية:

يُعدُّ هذا الحزب من الأحزاب الشخصية التي أنشأها مجموعة من الأشخاص تربطهم ببعضهم مصالح انتخابية وعائلية.

وقد أسس هذا الحزب عام ١٩٣٥م، ومعظم أعضاؤه من المسيحيين.

دستور الحزب:

حزب الكتلة الوطنية يرى أن تكون سياسته الخارجية تهدف إلى صيانة مصلحة الشعب اللبناني، ثم توثيق التعاون بين الدول العربية جميعًا على أساس المساواة في السيادة بين جميع الدول المتعاونة ضمن ميثاق الأمم المتحدة وميثاق الجامعة العربية.

أما عن السياسة الداخلية فيرى أتباع سياسة إنعاش اجتماعي واقتصادي تقضي إلى رفع مستوى معيشة المواطن اللبناني والعمل بكل الطرق على تمكين الوحدة الوطنية بين اللبنانيين من مقيمين ومغتربين.

٢ - حزب الاتحاد الدستوري (الكتلة الدستوري):

قام هذا الحزب على أنقاض الكتلة الدستورية التي أنشئت عام ١٩٣٤م، وتعتبر أقدم حزب في لبنان، وقد أسسها الشيخ بشارة الخوري رئيس لبنان الأسبق.

وقد ضعفت الكتلة عندما أصبح رئيسها رئيسًا للجمهورية، وأصبحت في حكم العدم خلال فترة رئاسته؛ لأنها اعتبرت أنها قد أدت الغرض من قيامها، إلا أن الحياة دبت فيها بعد استقالة الرئيس من منصبه، فأعيد تنظيمها وأطلق عليها اسم «حزب الاتحاد الدستوري»، وأصبح بشارة رئيسًا روحيًا له، وانتخب له من بين الأعضاء رئيسًا إداريًا.

دستور الحزب:

يؤكد الحزب ضرورة المحافظة على الميثاق الوطني وتنمية الروح الوطنية عند اللبنانيين، وإلغاء الطائفية تدريجيًا، وجعل الكفاءة وحدها أساسًا للتوظيف.

وينادي الحزب بالمحافظة على استقلال لبنان وسيادته على حدوده الحاضرة، على ألا يكون هناك امتياز في لبنان لدولة على أخرى، إلا أنه يرغب في التعاون الوثيق مع الدول العربية في نطاق ميثاق جامعتها العربية.

٣ - حزب النداء القومي:

أسس عام ١٩٤٥م، والحزب يرى نفسه نتاج أخوة مثمرة بمقدار ما هو مسلك وطني أو فكرة قومية ضد العصبية الطائفية الدينية والمذهبية في الوطن، وضد العصبية الإقليمية والقبلية والطبقية في الهيئة الاجتماعية.

ويؤمن الحزب بضرورة وجود كيان لبناني موحد مستقل ذي سيادة وطنية وقومية داخل حدوده التي تقررت نهائيًا عام ١٩٤٣م.

٤ - حزب الوطنيين الأحرار:

أنشئ حزب الوطنيين الأحرار عام ١٩٥٨م عقب الثورة الدامية في لبنان وانتهاء عهد الرئيس الأسبق كميل شمعون. وهو الذي أنشأ هذا الحزب حتى يكون سندًا له في استمرار نضاله السياسي مستقبلاً.. ويضم الحزب الأصدقاء الشخصيين للرئيس كميل شمعون.

واستطاع الحزب الحصول على مقعدين في مجلس النواب عام ١٩٦٠م، ودستور الحزب مثل دستور الأحزاب التقليدية لا يختلف عنها.

(د) أحزاب من نوع خاص:

طائفة الأرمن في لبنان رغم صغرها، فإنها أصبحت تشكل عنصرًا له أهميته في سياسة لبنان الداخلية ولو بصورة غير مباشرة، ويمثلهم في مجلس النواب خمسة نواب أربعة منهم من الأرمن الأرثوذكس، والخامس من الأرمن الكاثوليك.

والأرمن في لبنان ينقسمون إلى حزبين سياسيين هما:

١ - حزب الهانشاق.

٢ - حزب الطاشناق.

١ - حزب الهانشاق:

كلمة «هانشاق» تعني بالعربية «الجرس»، وقد أنشئ الحزب في عام ١٨٨٨م في سويسرا، وكان مؤسسوه جميعًا من المتأثرين بمبادئ «كارل ماركس»، مما جعل هذا التأثير ينعكس على مبادئ الحزب وأهدافه.

مبادئ الحزب:

لقد عمل الحزب منذ نشأته عام ١٨٨٨م على تجنيد كل قواه للنهوض بالأرمن وتخليصهم من السيطرة التركية والقضاء على كل العقبات التي تعوق تقدمهم الثقافي والاقتصادي.

وكان الحزب يرى أنه لا فرق بين تكوين الدولة البورجوازي، وتكوينها الإقطاعي؛ لأن كلاً من الوضعين يتجاهل مصالح العمال، ولا يسعى إلى تحسين حالتهم لذلك فإن الاشتراكية هي خير طريق للعمال.

وتبنى الحزب سياسة الارتباط بالاتحاد السوفيتي.

٢ - حزب الطاشناق:

تعني كلمة «طاشناق» في اللغة العربية «الشرف»... وقد أنشئ هذا الحزب عام ١٨٩٠م عقب إنشاء حزب الهانشاق بعامين.

أهداف الحزب:

جاء في مقدمة البيان الذي أعلن بموجبه إنشاء الحزب: «أنه مكون من أشخاص ينتمون إلى مختلف الطبقات، وهدفهم الوحيد هدف وطني ولا يوافقون على النظرية الاشتراكية التي يتبناها الآخرون... وأن الحزب يضم أبناء الطبقة الأرستقراطية، كما يضم أبناء العمال والفلاحين، والهدف الرئيسي الذي جمع هؤلاء هو تحرير أرمنيا من الحكم التركي»[1].

وقد أعلن الحزب أنه ضد استخدام القوة في حل المشكلة، بل إن سياسته هي أن يتركها للتطور الطبيعي مع العمل على إثارة هذه المشكلة على الصعيد الدولي.

هذا وأحب أن أضيف إلى «الأحزاب من نوع خاص» الحركات اللبنانية؛ لأنها نمط من التفكير السياسي في لبنان ظهر منذ أكثر من خمسين عامًا، والواقع أن تنظيم هذه لحركات وأهدافها ووسائلها لا يختلف في شيء عن واقع الأحزاب اللبنانية المتباينة.. سنعرض لها فيما يلي:

---

١) حمدي الطاهري: سياسة الحكم في لبنان، ص ٢٩٩.

١ - حركة القوميين العرب:

ظهرت فكرة تكوين هذه الحركة عام ١٩٣٨م بين أعضاء «نادي العروة الوثقى» الذي كان موجودًا بالجامعة الأمريكية ببيروت، وكان الداعي إلى إنشائها هو التباين في نظرة خريجي الجامعة القوميين إلى مفهوم القومية العربية، وكانت القومية تتخذ معان مختلفة في أذهان الشباب القومي العربي من كافة البلاد العربية.

وتتلخص مبادئ الحركة في تحقيق الوحدة بين سوريا والعراق والأردن؛ لأن الوحدة من وجهة نظرهم هي سبيل التحرر. هذا وقد فرح القوميون العرب للوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨م، واعتبروها هي النواة للوحدة العربية الشاملة.

والحركة تطالب بمحاربة الصهيونية والشيوعية باعتبارهما أشد خطرين على الوطن العربي.

٢ - مؤتمر الخريجين الدائم:

انبعثت فكرة المؤتمر عقب نكسة فلسطين عام ١٩٤٨م، لذلك نشأت الحاجة إلى قيام جماعة تدرس القضايا العربية على نحو علمي ومنطقي وتتوصل إلى نتائج تصلح أن تكون أساسًا للسياسة العربية وللتوجيه الشعبي.

وكان الاجتماع الأول للجنة التحضيرية للمؤتمر في مايو عام ١٩٥٤م، واجتمع المؤتمر في الشهر التالي في بيروت وضم ممثلين عن السودان ومصر وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والكويت والسعودية.

وكان أهم قرار اتخذه المؤتمر هو تأليف لجنة خاصة لوضع دستور مفصل لدولة اتحادية لبحثه في دورته التالية وعرضه على الأمة العربية للتصويت عليه من أجل الوحدة الشاملة.

إلا أن هذا المؤتمر لم يستمر طويلاً.

٣ - حركة التقدم الوطني:

في ٣٠ من نوفمبر عام ١٩٦٠م تألفت جبهة نيابية تضم أحد عشر نائبًا هم «أميل البستاني - شارل سعد - فؤاد بطرس - جميل لحود - خالد شهاب - إبراهيم العبد الله - علي بزي - رفيق نجا - بشير الأعور - فضل الله تلحوق - إميل مكرزل، وقد انتخب السيد فؤاد بطرس أمينًا عامًا للجبهة».. وقد أطلقت على نفسها «الجبهة

النيابية المستقلة»، إلا أن هذه الجبهة لم ينضم إليها نواب جدد، لذلك أعلنت في أبريل عام ١٩٦١م عن تأسيس «حركة التقدم الوطني» في لبنان، وجاء في بيانها الأول شرحًا لمفهومها على الوجه التالي: «أن حركة التقدم الوطني هي استجابة جماعية لنداء شعب أخذ يتيقظ ضميره التاريخي، وأنها حركة الأجيال الجديدة التي قاست من عيوب الماضي وأوزاره، وأنها ترفض وتقاوم جميع الأساليب والأسس الرجعية القديمة التي لا تزال تستند إليها جميع مظاهر الحياة العامة في لبنان، إنها حركة جميع اللبنانيين واللبنانيات على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم ومستوياتهم الاجتماعية والفكرية، إذ أنها تناضل من أجل انصهارهم في مجتمع موحد تقدمي يعيشون فيه أحرارًا متساوين[1]».

ومن الأحزاب الحديثة المؤثرة سياسيًا الآن:

حزب الله:

وهو من الأحزاب المؤثرة في النواحي السياسية في الفترة الأخيرة، وقد أنشئ هذا الحزب عام ١٩٨٢م، ولكن قد سبقه تكوين فكري لمحمد حسين فضل الله من خلال نشاطه العلمي والسياسي، وكان قيام الثورة الإسلامية في إيران ١٩٧٩م، دافعًا قويًا لنمو الحزب، وذلك للارتباط المذهبي والسياسي بين الطرفين.

وقد جاء في بيان صادر عن الحزب في ١٦ من فبراير (شباط) ١٩٨٥م أن الحزب «ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة تتجسد في ولاية الفقيه، وتتجسد في روح الله آية الله الخميني...».

ومعظم أفراد الحزب من اللبنانيين الشيعة المرتبطين بإيران، وقد تشكل الحزب في ظروف يغلب عليه الطابع العسكري «المقاومة» للاحتلال الإسرائيلي الذي اجتاح لبنان ١٩٨٢م، فالحزب يبني أيديولوجيته السياسية على أساس مقاومة الاحتلال، وكانت أولى العمليات التي قام بها الحزب وأكسبته شهرة قيامه بنسف مقر القوات الأمريكية والفرنسية في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣م، وقد أسفر عن مقتل ٣٠٠ جندي أمريكي وفرنسي.

هذا وقد قام الحزب بديلاً عن حركة أمل الشيعية «أفواج المقاومة اللبنانية»، وذلك بعد أن سحق الحزب الحركة في ١٩٨٨م، وتحول أكثر من ٩٠٪ من أفراد حركة أمل إلى الحزب تحت القيادة الإيرانية، وما زال الحزب مؤثرًا على الساحة السياسية إلى الآن.

---

(١) حروب لبنان، مصدر سابق: ص ٤٢.

الفصل الثاني

الموقف اللبناني من القضية الفلسطينية

لم يختلف الموقف اللبناني عن غيره من مواقف الدول العربية بالنسبة للقضية الفلسطينية، فقد اشترك في الحرب ضد إسرائيل منذ عام ١٩٤٨م، ولكن بشكل بسيط وجزئي، حيث احتلت إسرائيل ١٢ - ١٩ قرية لبنانية، وانسحبت من القرى اللبنانية بموجب هدنة، ولكن لبنان عانى من تاريخ الحروب، ولا سيما بعد حرب حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧م.

وفي عام ١٩٥٠م قصفت طائرة عسكرية إسرائيلية طائرة مدنية لبنانية كانت تحلق فوق الأرض اللبنانية، وكانت حصيلة القصف سقوط قتيلين وثماني جرحى من بين سبع وعشرين راكبًا[١].

وفي عام ١٩٥٩م أُجْبرت طائرة لبنانية ولثلاث مرات على الهبوط في إسرائيل، وفي ١٣ من نيسان/ إبريل ١٩٦٠م دارت اشتباكات بين الجيش اللبناني، والجيش الإسرائيلي على الحدود، وتم أسر ٤ جنود إسرائيليين أطلق سراحهم فيما بعد[٢].

وفي ٢٧ من آب/ أغسطس ١٩٦٥م، وخلال دخول إسرائيل إلى الأراضي اللبنانية، قتلت امرأة، وتم تدمير منزلين وثلاثة جسور[٣].

وأدت حرب حزيران/ يونيو، واحتلال إسرائيل لأراض عربية جديدة إلى تغيير الوضع على الحدود اللبنانية وفلسطين المحتلة من قبل العدو الصهيوني، حيث قامت عمليات عسكرية من قبل منظمة التحرير الفلسطينية ضد إسرائيل ردت عليها بهجمات على لبنان مستهدفة جنوب لبنان، ففي ١٤ من حزيران ١٩٦٨م قصفت قرية لبنانية «ميس الجبل» بالمدفعية الإسرائيلية، وأسفر عن سقوط ٥٦ جريحًا[٤].

هذا وقد وفد إلى لبنان نتيجة حرب ١٩٤٨م نحو ١٠٠ ألف فلسطيني معظمهم من

---

(١) الجنوب اللبناني ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، حقائق وأرقام، وزارة الإعلام اللبنانية، ص ٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٤.

(٤) الجنوب اللبناني ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، حقائق وأرقام، وزارة الإعلام اللبنانية، ص ٤.

سكان مدن وقرى شمال فلسطين، وتوزّعوا على مخيمات صور وصيدا والراشدية، وعين الحلوة في الجنوب اللبناني، ومخيم صبرا وشاتيلا وبرج البراجنة، ومخيم نهر البارد في بيروت وطرابلس، ورحب اللبنانيون بالشعب الفلسطيني الذي شرد من أرضه، ولكنهم فرضوا عليهم ما يشبه بالحكم العسكري على التجمعات الفلسطينية، وتقييد نشاطهم في مجالات ضيقة للغاية[1]. وحذت لبنان حذو سوريا في أنها حجبت عنهم الجنسية من أجل الاحتفاظ بالهوية الفلسطينية التي يسعى اليهود إلى طمسها بشتى الوسائل، واختلط الشعب الفلسطيني بالشعب اللبناني، وعاش الشعبان على أرضية مليئة بالأحزاب السياسية، والمذاهب الدينية المختلفة، وقد نشطت حركة المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل بزرع الألغام وإلقاء المتفجرات، مما أدى إلي الرد العنيف من جانب سلطات الاحتلال، وذلك بشن الغارات على مخيمات اللاجئين في لبنان وتدمير البيوت وقتل الأطفال والنساء.

ومع تزايد الوجود الفلسطيني في الجنوب اللبناني، ونمو العلاقة الطيبة بين الشعبين اللبناني والفلسطيني أرادت إسرائيل أن تبذر بذرة الخلاف بينهما، وذلك بالغارات الجوية المتكررة على قرى جنوب لبنان، ونجحت إسرائيل في ذلك حيث قامت أحزاب لبنانية تطالب بخروج المقاومة الفلسطينية، وإلقاء السلاح ووقفت بعض الجهات اللبنانية مع إسرائيل في حربها ضد سكان المخيمات الفلسطينية!!

وفي عام ١٩٧٠م كان أول اجتياح للجنوب اللبناني، وخاصة لمنطقة العرقوب، وكانت حصيلة الاجتياح تدمير المنازل، وقتل الأبرياء العزل من الأطفال والنساء والشيوخ، ولكن انسحبت إسرائيل من العرقوب بعد قرار مجلس الأمن رقم ٢٧٨[2].

وتوالت غارات إسرائيلية على جنوب لبنان وبيروت، ففي ١٥ من كانون الثاني عام ١٩٧١م هاجم الصهاينة قرية الصرفند الساحلية، وبعدها الخيّام، ما بين ٢١ من كانون الثاني وشباط، كذلك اجتاحت إسرائيل للمرة الثانية العرقوب خلال ٢٥ - ٢٨ من

---

(١) فلسطين تاريخها وقضيتها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٨٣م، نيقوسيا - قبرص، ص ١٤٤.

(٢) الجنوب اللبناني ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، حقائق وأرقام، مصدر سابق، ص ٤.

شباط ١٩٧١م، وفي عام ١٩٧٢م قامت إسرائيل بهجوم على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في نهر البارد بشمال لبنان، وهاجمت مخيمي نهر البارد والبداوي بالطائرات بهدف قتل الفدائيين[١].

ومن هنا يتضح لنا أن إسرائيل تريد أن تجعل الشعب اللبناني يحقد على الشعب الفلسطيني وتبث الفرقة، وتشعل نار الفتنة بين الشعبين اللذين قدما الكثير من أجل كرامة الأمة العربية، بأرواحهم، وبكل ما لديهم من وسائل لمقاومة الصهيونية والإمبريالية العالمية، والموقف اللبناني من اللاجئين الفلسطينيين لم يكن إلا لصالح الشعب الفلسطيني في بداية الأمر، ولكن إسرائيل بقيت تعمل حتى استطاعت أن تشرخ الشعب اللبناني وتقسمه إلى طوائف بعضها يعمل لحساب إسرائيل وينفذ ما تريده، إذ نجد أن الحكومة اللبنانية بدأت تضيق الخناق على الشعب الفلسطيني، ونشطت الأحزاب اللبنانية، منها المؤيد، ومنها المعارض لوجود المقاومة الفلسطينية على أراضيها.

وفي عام ١٩٧٣م هاجمت إسرائيل بطائراتها بيروت العاصمة اللبنانية، ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين في صبرا وتل الزعتر، والحي الشعبي في الأوزاعي، وكانت حصيلة العمليات مقتل وجرح ٤٠ فلسطينيًا، بينما قتل أربعة لبنانيين وجرح تسع وعشرون[٢]، وهذا يعني ضرب السيادة، والاستقلال اللبنانيين بعصا الطائفية الغليظة التي عمل العدو، على تغذيتها والتمكين لها، بل نسف لبنان المستقل بتفجرات الطائفية من الأساس[٣].

ولابد من القول بأن الطائفية في لبنان موجودة منذ زمن بعيد، أي في ١٨٤١م (ومرورًا بما حدث بعدها من فتن ومذابح: عام ١٨٦٠م و١٩٢٤م و١٩٢٥م، ثم ١٩٥٨م، و١٩٧٤م، وما تلاها من سنين)[٤].

---

(١) المصدر ننسه، ص ٥.

(٢) الجنوب اللبناني ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، حقائق وأرقام، مصدر سابق، ص ٤.

(٣) الزعيم الديغولي: بيير روندو، الطوائف في الدولة اللبنانية، تقديم: إلياس عبود، ط١، ١٩٨٤م، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ص ٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١.

لقد شوَّهت الطائفية لبنان، وعملت فيه هدمًا وتخريبًا؛ لأنها سهلت مهمة العدو الصهيوني، وساعدت على تنفيذ مخططاته وأهدافه، وأصبح الموت يهدد كل كائن في لبنان؛ لأن إسرائيل سلمت الخنجر المسموم الذي بقرت به بطون النساء والأطفال في دير ياسين إلى جماعات عميلة نفذت الجرائم في النساء والأطفال بنفس الخنجر المسموم!!

ويمكننا دراسة ذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول

أ - لبنان والمقاومة الفلسطينية

ب - دخول المقاومة بيروت

(أ) لبنان والمقاومة الفلسطينية:

توجه عدد كبير من الفلسطينيين بعد نكبة عام ١٩٤٨م إلى لبنان، وسكنوا في مخيمات في جنوب لبنان، وحول بيروت، وشمالي لبنان، ولقد واجه الفلسطينيون أقسى أنواع التشرد والعذاب، وهم يتنقلون من مكان لآخر، حيث فرضت الحكومة اللبنانية عليهم قوانين صارمة وحرمت عليهم التجمعات داخل المخيمات، وفرضت الضرائب على أبناء المخيمات مما أثقل كاهل اللاجئ الفلسطيني.

وبدأت المقاومة من لبنان منذ النكبة على شكل حرب عصابات، مما أدى إلى قيام إسرائيل بهجمات متكررة على جنوب لبنان وبيروت، وقصف المدن والقرى اللبنانية، مما أدى إلى زعزعة الثقة بين الشعبين اللبناني والفلسطيني، وابتدأت الغارات الإسرائيلية على لبنان منذ عام ١٩٦٥م، أي منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية، وكانت تمهيدًا للحرب الأهلية التي خربت الكثير.

لقد كان لوجود المخيمات الفلسطينية الأثر الكبير في نمو الثورة بين الجماهير الفلسطينية واللبنانية وتصاعدها، فكانت بيروت العاصمة تجمع خليطًا من السكان ومن مختلف الجنسيات.

وكان هذا بحكم نكبة عام ١٩٤٨م، وهجرة الكثير من الشعب الفلسطيني إلى لبنان، وبوجود المخيمات الفلسطينية في بيروت عمل توازنًا للجانب الإسلامي، إذ نجد أن المسيحيين كانوا يسيطرون على معظم لبنان، وبيروت خاصة، ولكن قويت حال المسلمين بوجود المشردين من أبناء الشعب الفلسطيني.

وازداد القمع في لبنان بالنسبة للمخيمات الفلسطينية، وكانت الرقابة صارمة، وذلك تبعًا لتزايد النشاط الفلسطيني، حيث كانت هذه الرقابة، وهذا النشاط يستجيبان بصورة عكسية لنفس المجموعة من التغيرات الجارية على الساحة العربية، ولكن صرامة القمع لعبت دورها في خلق استعداد ثوري لدى الجماهير الفلسطينية[1].

---

(١) روز ماري صايغ، الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة، ترجمة: خالد عايد، تقديم: د. إبراهيم أبو لغد، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.

والحقيقة أن الطبقة الحاكمة في لبنان تخشى أن تؤدي القوى القائلة بالوحدة العربية وبالوحدة الإسلامية التي عُبّئت بفضل انطلاقة الناصرية، وحزب البعث إلى إثارة الاضطراب في الميزان الطائفي الهش للبلاد[1].

وتزايد خوف الطائفة الحاكمة في لبنان من أن إسرائيل سترد بهجمات انتقامية على عمليات الفدائيين الفلسطينيين، وهذا يحتم على وجود جيش قوي بدلاً من الجيش الصغير الذي تختاره الطائفة الحاكمة، والذي يستطيع الموارنة من خلاله إدامة سيطرتهم على البلاد[2].

ونشطت حركة المقاومة الفلسطينية، فأقيمت معسكرات للتدريب ضمت الكثير من الشباب الفلسطيني والعربي من أجل تدريبهم على مختلف أنواع الأسلحة، وتخريجهم مقاتلين أقوياء، وفعلاً كانت الأفواج الشابة تتخرج من معسكرات في سوريا والجزائر ومصر، وأصبح هؤلاء نواة للنضال الفلسطيني، ولقد أثار هذا العمل الحكومة اللبنانية حيث فرضت قرارًا بمنع مغادرة أي فلسطيني بقصد التدريب العسكري من العودة مجددًا إلى بيروت.

كانت بيروت تحكمها طوائف متعددة وكثيرة، وعدد الطوائف الموجودة في لبنان أكثر من سبع عشرة طائفة، وعلى نحو ما مرَّ ذكره سابقًا.

ومن خلال ذلك ترى أن وضع المقاومة في بيروت كان صعبًا، وذلك لتعصب هذه الطوائف وتحكمها في لبنان، وتقليد أبنائها مقاليد الحكم والوظائف الرسمية.

هذا بالإضافة إلى وجود المسلمين السنة الذين يشكلون نسبة ٢١٪ من عدد السكان أيضًا، كان هناك الشيعة ويشكلون نسبة ٢٤٪ هذا إضافة للدروز ونسبتهم ٦٪[3].

ومن خلال هذه النسبة نجد أن الطوائف غير المسلمة أكبر نسبة من عدد المسلمين السنة، فالموارنة - مثلاً - لا يشكلون إلا ٢٣٪ من السكان يتمتعون بمزايا كثيرة من حيث

---

(١) المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٢) د. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.

(٣) الزعيم الديغولي: بيير روندو، مصدر سابق، ص ٣١، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

الحكم وتولي المناصب المهمة في الدولة.

ومما سبق يتضح أن المقاومة مرت بطرق صعبة، وجابهت المضايقات من أجل وأدها في مهدها، ولكن الشعب اللبناني في جنوبي لبنان وقف بجانب الثورة الفلسطينية؛ لأن الفدائي الفلسطيني يدافع عن أرض لبنان، ويطالب بحق له سلب منه، ولكن أصحاب النفوس المريضة وعملاء إسرائيل لم يهدأ لهم بال، ولم يغمض لهم جفن، وبقوا على اتصال مع قوات العدو الصهيوني من داخل لبنان، ومن الخارج عن طريق فرنسا وأمريكا من أجل القضاء على هذا الشعب الذي يدافع عن كرامة الأمة العربية إن كان هناك وجه بقي لهذه الأمة؟!!

* * *

(ب) دخول المقاومة بيروت

لقد دخلت المقاومة إلى بيروت عام ١٩٦٩م عبر سلسلة طويلة من المجابهات بين النظام اللبناني من جهة وبين الفدائيين في الجنوب اللبناني المدعومين من قبل جزء من سكان الريف اللبناني، والفلسطينيين المقيمين في المخيمات، وقسم كبير من سكان المدن الساحلية (الأحزاب الوطنية والتقدمية، والطلاب والجماهير الإسلامية) من جهة أخرى[١].

والتحمت الجماهير الفلسطينية بالثورة، وقويت عرى الصداقة بينها وبين القوى المحلية وجرى إقامة أولى القواعد الفدائية في الجنوب اللبناني بجباله ذات الكهوف والشجيرات الكثيفة، ولقد ساعدت طبيعة المنطقة على حرب العصابات، إذ كان المقاتلون ينطلقون إلى فلسطين المحتلة، وينفذون العمليات العسكرية، ويعودون إلى قواعدهم التي لا تظهر من بين الأشجار الملتفة الكثيرة والجبال الوعرة المسالك، وشكّل الجنوب اللبناني قاعدة أساسية لانطلاق المقاومة، وذلك بسبب الفقر والإهمال الذي يعاني منه سكان الجنوب اللبناني وأغلبهم من الشيعة.

ولهذا قدم الجنوب لحركة المقاومة بعضًا من الظروف الجغرافية والسياسية التي كانت تحتاج إليها[٢].

ولابد من القول بأن المقاومة كانت بدائية في الفترة ١٩٦٨ - ١٩٦٩م، وذلك للطابع الارتجالي لعملها في أوساط جماهير المخيمات، وأيضًا كانت حركة المقاومة عبارة عن كتل من المجموعات السرية الصغيرة المبعثرة التي انطلقت إلى العلن قبل أن تكتمل محاولات توحيدها[٣].

وينبغي القول بأن هناك أعباء كثيرة وقعت على أكتاف المقاومة منها:

أولاً: الحفاظ على استمرارية النضال المسلح ضد إسرائيل.

ثانيًا: الإبقاء على ميزان قوي داخل المحيط العربي من شأنه أن يعطي حركة المقاومة الفلسطينية حدًا أدنى من الاستقلال.

---

(١) روز ماري صايغ، مصدر سابق، ص ١٩٢.

(٢، ٣) المصدر السابق، ص ١٩٢.

ثالثاً: التحول إلى حكومة تسهر على شؤون الجماهير التي عانت من القمع والإهمال[1] زاد نشاط المقاومة الفلسطينية حين دخلت المنظمات الفلسطينية إلى لبنان بعد أحداث أيلول/ سبتمبر عام ١٩٧٠م، فدعمت الأفواج الجديدة - المطرودة من الأردن - حركة المقاومة في لبنان، وفي الجنوب اللبناني، حيث أقيمت القواعد، وتمتع العمل الفدائي بدعم «شعبي» واسع في الجنوب.

ولم يقتصر الأمر على الدعم فقط، بل إن العديد من شباب جنوب لبنان التحقوا بالعمل الفدائي كمقاتلين.

خاصة بعد الغارات على بيروت، والمخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان على أثر احتجاز رهائن إسرائيليين على أيدي الفلسطينيين أثناء دورة الألعاب الأولمبية في ميونخ، حيث ردت إسرائيل على ذلك بغارات على المدنيين اللبنانيين والفلسطينيين، واستخدمت الغاز السام والقنابل الفوسفورية[2].

ولم تكن العلاقة بين الجيش اللبناني والفدائيين علاقة مواجهة كاملة، بل كانت من خلال ذرائع قانونية كالادعاء أن الفدائيين يحملون أسلحة بلا رخصة، أو أنهم يدخلون مناطق ممنوعة، وذلك بهدف إزعاج العمل الفدائي وكبح جماحه، وإثارة قطاعات من الشعب ضده، أكثر من محاولة القضاء عليه تماماً[3].

قامت إسرائيل بعمليات عسكرية ضد المخيمات الفلسطينية في جنوبي لبنان وارتكبت جريمة ذات تأثير كبير، حيث قتلت ثلاثة قياديين من منظمة التحرير الفلسطينية في شارع فردان، هم «كمال ناصر»، «محمد يوسف النجار وزوجته» و«كمال عدوان»[4]، وبعدها أعلن عن هدنة في الجنوب، انتهت مع إعلان الحرب الرابعة العربية - الإسرائيلية حرب أكتوبر (رمضان) عام ١٩٧٣م، رغم أن لبنان لم يشترك في الحرب، فإنه لم يسمح لإسرائيل بمهاجمة سوريا عبر أراضيه.

بعد ذلك قامت إسرائيل بهجمات تركزت على جنوبي لبنان «فقصفت قرية راشيا

---

(١) روز ماري صايغ، مصدر سابق، ص ٢٠٢.

(٢) روز ماري صايغ، مصدر سابق، ص ١٩٣.

(٣) فلسطين المحتلة، العدد ٢٢١، ٢٢٢، ١/ ١/ ١٩٨٢م.

(٤) الجنوب اللبناني ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، حقائق وأرقام، وزارة الإعلام اللبنانية، ص ٥.

الخفار بالقنابل الفوسفورية، بالإضافة إلى اختراق المنطقة الحدودية لملاحقة الفدائيين، وصبت قذائف على قريتي حاصبيا وشبعا[1].

واستمرت إسرائيل بقصف الجنوب مدنه وقراه من أجل ضرب التحالف بين «الشعبين» الفلسطيني واللبناني، فقصفت مدينة صور ودمرت البيوت وقتلت الأبرياء حتى البحر قصفته وقطعت الأشجار بحثًا عن الفدائيين الذين يقلقون راحة إسرائيل، فمدينة صور الباسلة تتحدى يوميًا الاعتداءات المتكررة وتبقى شاهدة على آلات الدمار الحديثة التي زودت بها الإمبريالية الأمريكية، الكيان الصهيوني فمدينة صور هي معقل الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية[2] فسقط مئات الشهداء من أبناء مدن الجنوب وقراه، بل الآلاف، وقام الإسرائيليون بهجمات يومية كثيرة حيث قصفت مخيمات عين الحلوة والنبطية جوًا وبرًا وبحرًا، وسقط أكثر من ٣٠٠ قتيل وجريح، وكذلك أغار الإسرائيليون مرة ثانية على مخيمي عين الحلوة والراشدية مؤديًا إلى سقوط ما يزيد عن ١٠٠ قتيل و٢٠٠ جريح، وحين قام الفلسطينيون عبر رجال ضفادعهم بعملية نهاريا شمالي فلسطين المحتلة في ٢٤ من حزيران/ يونيو ١٩٧٣م، حيث أدت هذه العملية إلى مقتل ثلاثة إسرائيليين، شنت حكومة تل أبيب غارة جوية على صور وصيدا والصرفند[3].

وفي عام ١٩٧٤م قامت إسرائيل بهجوم جوي وبري وبحري على مخيم النبطية ومسحته طائراتها من الوجود تمامًا.

وفي آب/ أغسطس عام ١٩٧٤م بدأت تل أبيب سياسة الضربات الوقائية التي لم توافق عليها رسميًا الحكومة الإسرائيلية إلا في عام ١٩٧٩م، وأصبحت الهجمات على القرى الحدودية والقواعد الفلسطينية والمخيمات شبه يومية.

بعد تدهور الوضع خلال الأسبوع الأول من كانون الثاني/ يناير عام ١٩٧٥م، دخل الصهاينة قريتي عيترون وبارين وقصفوا النبطية والطيبة، حيث قتل ستة مدنيين وعسكري لبناني، وجندي إسرائيلي، وجرح سبعة أشخاص.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٦.

(٢) فلسطين المحتلة، العدد ٢٨٠ - ٢ من آذار ١٩٨١م، ص ٧.

(٣) الجنوب اللبناني ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، حقائق وأرقام، وزارة الإعلام اللبنانية، ص ٦.

ولم تختف الهجمات الإسرائيلية، إذ وجدنا غارات استهدفت بشكل رئيسي كفر شوبا، فنزوح أهل القرية المدمرة خلال هدنة القوات الدولية وقدمت شكاوى جديدة لمنظمة الأمم المتحدة في ٢٢ من شباط/ فبراير ١٩٧٥م[١]، ولقد ادعت إسرائيل دائمًا أن تدخلاتها العسكرية في لبنان لم يكن هدفها سوى الرد على عمليات منظمة التحرير الفلسطينية المنطلقة من الأرض اللبنانية، بينما أكد لبنان أن التواجد الفلسطيني المسلح لم يكن سوى حجة للقادة الإسرائيليين لتحقيق أهدافهم المتمثلة في إقامة دولة ذات طابع طائفي وضم الأراضي الغنية بالمياه والواقعة جنوب نهر الليطاني.

إضافة إلى إضعاف حركة المقاومة الفلسطينية وشل يد المساعدة التي تقدم العون وتتمثل في الشعب اللبناني، وخاصة أهالي القرى الحدودية، فأخذت تبث الرعب بين الناس بغاراتهم المتكررة وألّبت بعض النفوس، المريضة وخاصة الكتائب ضد التجمعات الفلسطينية مما أدى إلى وجود عناصر تعمل لحساب إسرائيل داخل لبنان.

وتعدّت هجمات إسرائيل داخل لبنان فوصلت قلب العاصمة بيروت، حيث تعرض مركز منظمة التحرير الفلسطينية، ومركز الأبحاث الفلسطينية ومكاتب المنظمات لهجمات منظمة، مما أسفر عن جرح ستة أشخاص، وقصف الطيران الإسرائيلي مخيم صبرا في بيروت، مما أدى إلى قتل الأبرياء من نساء وشيوخ وأطفال[٢]، وكانت الحكومة اللبنانية تتحرش بسكان المخيمات لأتفه الأسباب، فمرة تقول بأن النار أطلقت على قوات الأمن من داخل المخيمات أو تتحيَّن فرصة الشغب والفوضى من خلال مظاهرة طلابية، فتتدخل قوات الأمن بإطلاق النار على الجمهور بدلاً من تهدئة الوضع بالطرق السلمية.

والغريب أن الجيش اللبناني طالب بهدم مكتب «فتح» داخل مخيم نهر البارد وتسليم الفدائيين إلى السلطات[٣].

ولقد ضيقت السلطات اللبنانية الخناق على المخيمات الفلسطينية في جنوب لبنان، حيث حوصرت المخيمات من قبل الجيش اللبناني، وسقطت جميع المخيمات تحت سيطرة الجيش بعد سقوط مخيم الراشيدية، وبعد ذلك بدأت عمليات التمع والتعذيب، وانسحبوا من المخيمات خوفًا من قدوم الثورة.

(١، ٢) الجنوب اللبناني ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٧.

(٣) روز ماري صايغ، مصدر سابق، ص ١٩٨.

«أما المخيمات في بيروت فكانت شدة الطوق عليها أخف منها في المخيمات الريفية الأكثر انعزالاً باستثناء برج البراجنة الذي تحيط به تلال رملية من ثلاثة جوانب - كما أن مخيمات صبرا وشاتيلا ومار إلياس كانت ملتحمة مع مناطق لبنانية إسلامية كثيفة السكان مما جعل الهجوم عليها غير سهل، ومع أن السلاح كان قليلاً حين وقعت الصدامات، فإن الحالة النفسية للجماهير الفلسطينية واللبنانية بلغت مستوى عال من الثقة»[1].

إذن دخول المقاومة بيروت لم يكن بالسهل، بل مرّ بصعوبات وعقوبات وقدم الشهداء أرواحهم قرباناً للوجود على الأرض اللبنانية، فإسرائيل تعمل على عرقلة الوفاق الفلسطيني اللبناني بالتعاون مع أذنابها في كل مكان.

وما يؤكد هذا ما قاله موشى شاريت أنه في ٢٧ من شباط/ فبراير ١٩٥٤م طلب منه بن غوريون خلال اجتماع معه دفع الموارنة إلى «إعلان الدولة المسيحية في لبنان»، فأجبته حينها أن هذا غير منطقي؛ لأن على لبنان المسيحي التخلي عن صور وطرابلس والبقاع.. وسيخسر طابعه الاقتصادي»[2]، واستطاعت إسرائيل أن تحقق أهدافها من خلال العمليات الإرهابية على لبنان جنوبه وشماله وبيروت العاصمة، ومن خلال الاتصالات بينها وبين قادة الموارنة في بيروت الشرقية، فكانت أول إنجازات هذا الاتصال أن حقق الطرفان أكبر مجزرة ضد شعب أعزل يعيش في مخيم صغير يعمل أهله ليل نهار من أجل العيش، وهو مخيم «تل الزعتر»[3]، وهذا ما سنعالجه بالتفصيل؛ لأنه بداية المأساة الحقيقية...

* * *

(١) المصدر السابق، ص ١٩٩.

(٢) الجنوب اللبناني ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٥٧.

(٣) إبراهيم الوحش، مأساة بيروت في الشعر العربي المعاصر، المطبعة الاقتصادية، دبي، ط١، ١٩٩٢م، ص ٦٨.

المبحث الثاني

أ - الحرب الأهلية

ب - مجزرة تل الزعتر

جـ - اجتياح إسرائيل للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨م

(أ) الحرب الأهلية:

كان الصراع الدامي في لبنان إحدى نتائج هذه الحرب، وخاصة بعد خروج مصر من المعركة مع العدو الإسرائيلي، بعد زيارة «السادات» لإسرائيل وعقد معاهدة «كامب ديفيد».

وبعد الاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة على الجنوب اللبناني، وعلى المخيمات الفلسطينية في مختلف أنحاء لبنان خلال عام ١٩٧٤م، وأوائل عام ١٩٧٥م، وما أدت إليه من نزوح واسع عن المناطق التي تعرضت للقصف، واجه لبنان انقسامًا خطيرًا بين القوى المؤيدة للنشاط الفدائي عبر الأراضي اللبنانية من جهة، وبين القوى المعارضة لهذا النشاط من جهة أخرى[١].

لذا رأى الجانب المعارض في لبنان بأن العمل الفدائي في الجنوب اللبناني وما يتبعه من مداخلات، وضغوط عربية، يؤديان إلى فرض حل للصراع العربي الإسرائيلي وذلك بتوطين الفلسطينيين في لبنان، الأمر الذي ترفضه القوى المعارضة للعمل الفدائي؛ لأنه يخل بالتوازن الطائفي داخل لبنان، وكانت هناك بعض التجاوزات من قبل بعض عناصر المقاومة الفلسطينية أسهمت في تعميق حدة الانقسام وشدة الكره من بين القوى المعارضة للعمل الفدائي.

بدأ الانقسام يأخذ شكل الحرب الأهلية، بعد مقتل الزعيم الوطني في صيدا «معروف سعد»، في ٢٦ من فبراير ١٩٧٥م وبعد حادثة اغتيال ٢٦ فلسطينيًا في «باص» كان يمر في منطقة عين الرمانة، بضواحي بيروت.

«إذن انفجرت الحرب الأهلية بتاريخ ١٣ من إبريل عام ١٩٧٥م، بين القوى الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية من جهة، وبين الميليشيات اللبنانية اليمينية بقيادة حزبي الكتائب والأحرار من جهة أخرى»[٢].

---

(١) فلسطين.. تاريخها وقضيتها، مصدر سابق، ص ٢١٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٤.

والحقيقة أن المذابح والحرب الأهلية لها جذور بعيدة تبدأ منذ عام ١٨٤١م وما تبعها من فتن ومذابح، هذا لوجود مجموعة كبيرة من الطوائف مختلفة المذاهب، وعلى رأس هذه الطوائف الموارنة الذين ينتمون إلى حزب الكتائب.

إذن قصة الحرب في لبنان قصة قديمة، وبقيت الثغرة كبيرة بين الطبقات في المجتمع تاركة للإقطاع أن يبرز في أشكال جديدة وتنظيمات مستحدثة مختلفة.

وقد استمر الحاجز الطائفي قائمًا في نفوس أبناء الوطن الواحد دون العمل على إزالته، اللهم إلا في بعض المناسبات الوطنية المستحدثة حين تكسو الوجوه أقنعة الرياء، والمداهنة.

وبدأت الطوائف اللبنانية، وخاصة الكتائب تدرب ميليشيات على القتال وتلقنهم دروسًا ضد الشعب الفلسطيني.

«كانت الحرب الأهلية في مراحلها الأولى، ولم يع اللبنانيون إلى أين هم ذاهبون وصوت الطلقات المدوية يتردد في ضواحي بيروت في الليل، وكان الناس يتساءلون لماذا كل هذا؟»[١].

وكثيرًا ما كانت الاشتباكات تجري في الضواحي، وخاصة عين الرمانة والشياح وسن الفيل والدكوانة وتل الزعتر، وكل مكان تواجدت فيه الفئات الثورية والفئات اللبنانية.

ازدات الاشتباكات بعد حادثة الأتوبيس، ومقتل مجموعة من الفلسطينيين على أيدي حزب الكتائب بعدها ظهرت الأسلحة في الشوارع، يحملها مقاتلون يرتدون ألبسة متنوعة مثيرة منها القبعات الكبيرة، وألبسة الصيد والريش والإشارات التي تدل على انتماءاتهم الحزبية أو الطائفية، وكانت الأحوال تتردى وتتأزم بسبب التعديات على الحريات الشخصية والخطف والقتل والانفجارات.

والأزمة التي عاشها الشعبان الفلسطيني واللبناني خلال سنوات الحرب.. أبرزت عدة حقائق كانت غائبة عن أذهان كثير من الشعوب الإسلامية منها[٢].

---

(١) مقتطفات من الصحف اللبنانية والعالمية، الحرب اللبنانية في صور، المكتبة الأدبية، بيروت، ص ٢٢٢.

(٢) مجلة الإصلاح، دبي، العدد ٥٤، ذو القعدة ١٤٠٢هـ، ص ٤.

أولاً: إن الدعوات التي كانت تستغل القضية الفلسطينية لم تكن سوى سوق للمتاجرة برقاب الفلسطينيين واللبنانيين.. فأين ذهب أدعياء التحرير والتقدم وإعطاء الشعوب حقوقها.. لماذا صمتوا صمت القبور عما جرى في لبنان.. لماذا سلموا رقاب النساء والأطفال للسكين الإسرائيلي.

ثانيًا: لقد كشفت الحرب حقيقة الصراع بين العرب واليهود، وهو أنه صراع عقائدي تصرح به إسرائيل ليلاً ونهارًا، لقد تعاونت الصليبية ممثلة في القوى الكتائبية وأنصارها مع العدو اليهودي في القضاء على المسلمين والفلسطينيين.

ثالثًا: سقوط الشعارات الجوفاء مثل الوحدة العربية.. التضامن العربي[1]. وحقيقة الأمر أن إسرائيل لا تفرق بين مسلم فلسطيني، ومسلم لبناني فهي تعامل الكل على أنهم أعداء، يجب التخلص منهم!!

وشهدت هذه الحروب البشعة محاولات دؤوبة من جهات مختلفة للتركيز على طابعها الطائفي المذهبي، أو على كونها صراعًا لبنانيًا فلسطينيًا[2].

واستمرت الحرب الأهلية في لبنان عنيفة طوال عامي ١٩٧٥م - ١٩٧٦م، وكان هدف هذه الحرب التي أشعلها وزير خارجية أمريكا الأسبق «هنري كيسنجر» اليهودي الأصل، هو إشعال المنطقة بحروب محلية صغيرة؛ لتجنب مواجهة مدمرة بين القوتين العظميين - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي - واستنزاف طاقات الدول والقوى العربية... وإلهائها عن متابعة نضالها ضد العدو الصهيوني وحليفته الولايات المتحدة، وأيضًا تقسيم منطقة الشرق الأوسط إلى دويلات طائفية، وإضعاف الروح الوطنية عند العرب وترسيخ قدم إسرائيل في المنطقة[3]، وبالتالي تمرير تسويات استسلامية كما حدث في كامب ديفيد، وتشجيع أطراف أخرى على اللحاق بركبها والانضمام إلى نهج الاستسلام مع العدو الصهيوني.

كل محاولات إسرائيل التي كانت تهدف إلى ضرب المقاومة الفلسطينية باءت بالفشل، وذلك بفضل التفاف الجماهير الفلسطينية واللبنانية داخل الأرض المحتلة

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥.

(٢) فلسطين تاريخها وقضيتها، ص ٢١٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٤.

وخارجها حول المقاومة.

واشتدت الحرب الأهلية في لبنان، وخاصة في بيروت، وقامت مظاهرات ضد هذه الحرب التي لا تخدم إلا مصلحة إسرائيل، ثم تداعى الوضع تمامًا بعد معركتين كبيرتين، حين مشط حزب الكتائب وحلفائه منطقة «الكارنتينا» واحتل الفلسطينيون واليسار المسلم مدينة «الدامور» وبلدة «الجية»[1]، واشتدت الأزمة السياسية وازداد الانشقاق فتدخلت شخصيات دينية لخدمة لبنان وإنقاذه، ولكن هيهات!!

وباءت كل محاولات الإصلاح بالفشل، فحمل الرجال السلاح، حتى المرأة اشتركت في الحرب الأهلية، وامتدت الحروب من بيروت الشرقية إلى بيروت الغربية، حيث الدمار والخراب غلّفا وجه بيروت!

وقامت محاولات كثيرة للتوسط وللإحاطة بالأزمة والقضاء عليها من قبل كبار السياسيين اللبنانيين والسوريين، ومبعوث الفاتيكان، وبعض مشايخ المسلمين، ولكن دون جدوى.

وقد ترأس مجموعة من قادة الكتائب هذه الحرب الأهلية وزادوا في اشتعالها بشعاراتهم العدائية، فمثلاً «بشير الجميل» الكتائبي يقول في كلمة له: المعركة لم تنته ويجب تحرير لبنان كله، لن نسلم أسلحتنا لأحد، ومن السخف أن نتكلم عن جمع الأسلحة وتسليمها، ولن نسلم قطعة سلاح واحدة قبل أن تسلم آخر قطعة سلاح عند الغرباء[2]، وقال سعيد عقل: إن الفلسطيني الذي عجز أن يثور ضد الذين اغتصبوا أرضه ووطنه، حاول اغتصاب أرض غيره ووطن غيره، ولم يبق لهم شبر من أرض يكتبون عليه «هنا ترقد المرحومة فلسطين»... وختم سعيد عقل كلمته بقوله: «لا تصدقوا أن السلام قد حصل، ومثل ما قلت للرئيس سركيس: لا سلام على أرضنا ما دام على أرضنا فلسطيني»[3].

---

(١) مقتطفات من الصحف اللبنانية والعالمية، الحرب اللبنانية في صور، مصدر سابق، ص ٥٠.

(٢) الحملة على الشعب الفلسطيني في تصريحات وأعلام الجبهة اللبنانية، بعد مؤتمري الرياض والقاهرة، منظمة التحرير الفلسطينية، جهاز أمن الثورة الموحد، قسم المعلومات ٢٤/ ١١/ ١٩٧٦م، ص ٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠.

ولم تكن المارونية وحدها في الساحة فهناك حزب الأحرار والأرز، وأتباع «كميل شمعون»، و«سليمان فرنجية»، وهناك طائفة الشيعة، والتي تلعب دورًا كبيرًا في الجنوب اللبناني.

بالإضافة إلى الحركات التقدمية، والوطنية اللبنانية الموجودة على الساحة اللبنانية مثل المرابطين بقيادة «إبراهيم قليلات»، والسنة بقيادة «الوزان».

ونلاحظ أن هناك تماثلاً في الشعارات والممارسات بين زمرة «سعد حداد» في الشريط الحدودي اللبناني المحتل، والأخرى الفاشية الرئيسة في وسط لبنان بقيادة حزب الكتائب، والخلاف الوحيد هو الهامش بين الارتماء المباشر في أحضان العدو، والتعامل معه»[1].

فشعار الطرفين هو «تحرير لبنان من الغرباء» والاتجاه لبناء الدولة ذات الصفة الفاشية بأداة مارونية في مواجهة الأطراف اللبنانية الأخرى ذات الصفة الإسلامية الوطنية، ثم تقسيم الشعب والوطن لأجل هدفهما المشترك.

المشكلة إذن لا تنحصر في الفارق بينهما، بل في اتفاق الطرفين على الشعارات الجوهرية، وفي صلاتهما فيما بينهما وصلاتهما معًا بإسرائيل.

ولقد قال ياسر عرفات - رئيس منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك - في كلمة له: «إن هناك محاولة، وهي أن تتكرر إسرائيل أخرى في لبنان، ولكن أقول لهم: إن هذه الثورة لا أحد يقدر أن يهددها، نحن نهُدّد ولا نهدّد، نخيف ولا نخاف، وأنا أقول: إن لبنان ممرًا وليس مستقرًا، ولن نرضى بديلاً عن فلسطين وطنًا»[2].

ونلاحظ أن الطائفة المارونية بالتعاون مع إسرائيل استطاعت أن تعين «بشير الجميل» رئيسًا للبنان، رغم أن الوضع كان متأزمًا.

ويمكن القول: إن الصراع على هذه الساحة العربية يختصر مجمل الصراع في الشرق الأوسط، بل مجمل الصراع بين قوى السيطرة الاستعمارية وقوى التحرر والتقدم في العالم، حيث إن قادة المارونية العنصرية يريدون انتزاع دولتهم الجديدة في قمة

---

(١) فلسطين الثورة، العدد ٣٧٣، ١١ من آيار ١٩٨١م، السنة التاسعة، المجلة المركزية، (م. ت. ف)، ص ٢٩.

(٢) فلسطين الثورة، العدد ٣٦١، ١٦ من شباط ١٩٨١م، السنة التاسعة، ص ٦.

الصراع بين قوى التحرر والتقدم وقوى الإمبريالية والصهيونية، تمامًا كإسرائيل التي قامت على جماجم البشر الذين ذبحوا في مجازر دامية[1].

واستمرت عاصفة الحرب الأهلية مدوية مدمرة مخلفة الدمار، فكان فتيل العاصفة هو عين الرمانة، وامتد اللهب حتى التهمت.. لبنان كاملة.

زاد القصف الإسرائيلي لجنوب لبنان مع استمرار الحرب الأهلية بشكل رئيسي، وقامت إسرائيل بعمليات هجومية ضد قرى الجنوب، وقصف جوي وبري على مخيمات اللاجئين، وقامت بغارات على مخيمي نهر البارد والبداوي في شمالي لبنان إلى جانب هذه العمليات العسكرية توجهت إسرائيل إلى مساعدة الميليشيات على الحدود اللبنانية، والمشاركة بتشكيل قوة حدودية بقيادة ضباط لبنانيين منشقين أبرزهم «سعد حداد»، و«سامي شدياق»[2]، وساعدت إسرائيل هذه الزمرة الخائنة، حيث أصبحت أداة لتدمير الجنوب بجانب إسرائيل، وهذا ما جعل الأمر يتفاقم بتفريخ الأحزاب وتناثر الجيش اللبناني.

عدد الأحزاب اللبنانية كان كبيرًا، مما أدى إلى اتساع هوة الحرب الأهلية بلبنان فمثلاً كان عدد الأحزاب والحركات الإسلامية ستة عشر حزبًا منها: حركة «أمل» الشيعية، حزب الله، حركة التوحيد الإسلامي، حركة أمل الإسلامية، منظمة سيف الإسلام، التجمع الشيعي المستقل، جماعة عباد الرحمن، اتحاد العلماء المسلمين، الجماعة الإسلامية، التجمع الشيعي المستقل، حركة التجمع الإسلامي[3]، وغير ذلك من الجماعات، ولكن باقي الأحزاب اللبنانية يفوق الحصر لكثرة العدد، مما أدى إلى اشتعال الفتنة التي تزعمها حزب الكتائب «الموارنة» فعدد الأحزاب اللبنانية من طائفية متطرفة إلى أحزاب سياسية يعادل ٤٧ حزبًا منها:

حزب الاتحاد اللبناني، الجمعية الوطنية، عصبة العمل القومي، حزب النداء القومي حزب الكتائب اللبنانية، الحزب التقدمي الاشتراكي، حركة الوعي اللبنانية، الحزب السوري القومي، حزب التضامن البيروتي، الحزب الجمهوري، منظمة البعث العربي التابع لسوريا، التنظيم الشعبي الناصري، المرابطون، وغير ذلك من الأحزاب التي لا حصر لها،

---

(١) الأزمنة العربية، العدد ١١٤، ١٩٨١م، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ٢٥.

(٢) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، وزارة الإعلام اللبنانية، ص ١٤.

(٣) جريدة الخليج، العدد ٢٨٢٠، ص ١٦.

إذ نجد أن حزب الكتائب فرّخ جماعات حوله، فكانت أحزاب الجبهة اللبنانية «الساحة المسيحية»، والتي يتزعمها حزب الكتائب اللبنانية والقوات اللبنانية، وحزب الوطنيين الأحرار، وحراس الأرز، وقوات الدامور ولواء المردة، وحركة التضامن المسيحي، وكذلك هناك أحزاب أرمنية مثل الهانشاق، الطاشناق، الرامتغفار[1]، بالإضافة إلى الدروز.

هذا مثال بسيط عن الأحزاب اللبنانية التي كانت تعج بها الساحة اللبنانية، مما أدى إلى اشتعال الفتنة، ونتيجة حتمية لتعدد الأحزاب تعددت المطارات، فأصبح لكل حزب مطار معين، وكذلك تعددت المرافئ، وانقسم الجيش شيعًا وأحزابًا، فعصفت الفتنة بالبلاد، مما أدى إلى احتلال إسرائيل لجنوب لبنان، بل كل لبنان حتى وصولهم العاصمة بيروت.

وأثناء هذه الأحداث على الساحة اللبنانية، تكالبت القوى المسيحية التي يتزعمها حزب الكتائب على القوات التقدمية اللبنانية والقوات الفلسطينية، مما أدى إلى وقوع الكثير من الضحايا من جرّاء استعمال شتى أنواع الأسلحة الصاروخية والقذائف والمدفعية، وتدمير البيوت وتشويه الأرض اللبنانية من قبل مجموعة تعمل لحساب إسرائيل، فكانت المأساة الفاجعة التي جعلت الأم تفقد ابنها وزوجها، وربما تفقد العائلة كاملة فأصبح الجميع في خطر، حتى الحيوانات قتلت في لبنان على أيدي إسرائيل وعملائهم الكتائب والأحزاب الأخرى الموجودة في الجنوب اللبناني، والتي تعمل قتلاً وإجرامًا بكل طفل أو امرأة، أو شيخ كبير.

وكان من نتائج هذه الحرب مجزرة «تل الزعتر»، وهي التي تكشف لنا عن حقد اليهود في لبنان وفي كل مكان!!!

ويصوّر ذلك الشاعر رشاد يوسف بقوله:

لبنان تسبح في الدماء جريحة ... ويصيح في أرجائها الأضداد

وتبيت تندب من بنيها عصبة ... خلعوا هوية قومهم أو كادوا

وتظل تجتاح الخطوب ربوعنا ... وتظل ظلمة ليلنا تزداد

يا أمة الإسلام صيحة شاعر ... قد ملّها التكرار والترداد[2]

---

(١) جريدة الخليج، العدد ٢٨٢٠، ص ١٣.

(٢) رشاد يوسف: ديوان وإسلاماه (مخطوط).

ب - مجزرة تل الزعتر:

من خلال كلمة مجزرة نحن بصدد ملحمة فعلية لشعب شُرِّد من وطنه، هذه المجزرة وجهت ضد كل مسلم في تل الزعتر وليس التلُّ بالمدينة أو بالدولة، بل هو مخيم صغير يضم بين أزقته مجموعة من الفقراء العاملين من لبنانيين وفلسطينيين ينامون تحت أكواخ من الصفيح، ويلتحفون العراء.

لمحة تاريخية عن التل:

أنشئ مخيم تل الزعتر عام ١٩٥٠م[١]، وهو يقع في المنطقة الشرقية الشمالية من ضواحي بيروت، تعدُّ المنطقة التي تحيط بالمخيم من أهم المناطق الصناعية في لبنان، فهي كانت تضم عام ١٩٦٨م، ٢٩٪ من عدد المعامل في لبنان، و٢٢٪ من عدد العمال، و٢٣٪ من رأس المال الصناعي اللبناني.

تبلغ مساحة المخيم الإجمالي ٢٩٥ دونما، فهو عبارة عن واد طوله ٢كم، وعرضه كيلو متر واحد، بلغ عدد سكان المخيم عام ١٩٧٢م، حوالي ١٤ ألف فلسطيني، وعام ١٩٧٦م حوالي ١٧ ألف فلسطيني، وهو يضم عددًا كبيرًا من اللبنانيين حوالي ١٣ ألف لبناني.

ينتمي معظم أهالي المخيم من حيث أصولهم الاجتماعية في فلسطين إلى سكان القرى، وكان المخيم مكتظًا بالسكان، ومعظم سكانه يعيشون في «براكسات» التنك والتخاشيب أو من الباطون المسقوف بالواح «الزينكو»[٢].

وطرقات المخيم الداخلية ضيقة جدًا، وغير ممهدة مليئة بالحفر والأوحال والأوساخ، قبل ظهور الثورة الفلسطينية في لبنان عام ١٩٦٩م، كان محظورًا على الفلسطينيين القيام بأي ترميم أو إصلاح للمساكن إلا بعد الحصول على موافقة رسمية من السلطات المختصة، وكان أهالي المخيمات يعانون من تعسف السلطات، فقد كان محظورًا عليهم ممارسة أي نشاط سياسي أو ثقافي، وكانوا معرضين للملاحقة والاعتقال والمضايقات المتكررة، بدأ الحصار الفعلي لمخيم تل الزعتر يوم ١٢ من آذار (مارس) عام ١٩٧٦م إثر اشتداد الحرب في أعقاب حركة «عزيز الأحدب» الانقلابية، فقد أخذ تل الزعتر يعاني

---

(١) هاني مندس: العمل والعمال في المخيم الفلسطيني، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت ١٩٧٤م، ١١٦ - ١١٨، بحث ميداني عن تل الزعتر.

(٢) إبراهيم الوحش: مأساة بيروت، مصدر سابق، ص ٧٩.

حصارًا تموينيًا وعسكريًا قاسيًا منذ ذلك اليوم[1].

بدأ الهجوم العسكري على المخيم صباح يوم ٢٢ من حزيران (يونيو) ١٩٧٦م، وكان القتال يتصاعد على جميع الجبهات في بيروت والضواحي، وحصار تل الزعتر امتد إلى مخيم جسر الباشا ومخيم ضبية، والجيّة وغيرهما.

ولقد سقط على المخيم حسب التقديرات ما يقارب ستين ألف قذيفة[2] من مختلف أنواع الأسلحة، دمرت معظم المنازل التنكية الهشة للمخيم في الأيام الأولى من الهجوم الشامل، وذلك بفعل القصف، ولجأ معظم الأهالي إلى البنايات المجاورة في منطقة الدكوانة المحاذية للمخيم ومن بقي على قيد الحياة انتقل إلى الدامور.

هناك أسباب كثيرة للحرب في لبنان على رأي قادة الكتائب الانعزاليين وأهمها:

الوجود الفلسطيني المسلح على الأرض اللبنانية، ومن ثم فيجب تدمير الفلسطينيين وطردهم من لبنان كافة، ولذا كانت شعارات الكتائب.

أولاً: لا فلسطيني على الأرض اللبنانية.

ثانيًا: تدمير من بقي منهم في لبنان.

ثالثًا: على كل لبناني أن يقتل فلسطينيًا، وعندها لن يكون وجود لهم في لبنان ويجب أن نصفي الصغار قبل الكبار؛ لأن الأطفال سيكبرون.

لقد سقط الشهداء الأبرياء في تل الزعتر، وهدم تل الزعتر، وسُوّيَ هدمًا وخرابًا من قبل الأحزاب اليمينية، وعلى رأسها حزب الكتائب وحزب الأحرار.

لقد تعلم الفلسطينيون من تل الزعتر درسًا لن ينسوه، تعلموا أن ميليشيات الكتائب تكرههم وتحقد عليهم أكثر من اليهود، ففي مذبحة تل الزعتر أظهر الكتائبيون وحشية وقسوة، تفوقوا بها على الإسرائيليين، وإن ما ارتكبه الكتائبيون في تل الزعتر يفوق من بعض جوانبه ما اقترفه الإسرائيليون فيما بعد في مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا[3].

---

(١) هاني مندس: طريق تل الزعتر، مركز الأبحاث الفلسطيني، الإعلام الموحد، ص ١١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٣) توني كليفتون وكاترين ليروي، من تل الزعتر إلى صبرا وشاتيلا، ترجمة: رشيد أبو غيدا، الدار العربية للتوزيع والنشر الأردن، عمان، ص ١١١.

لقد مثّل الكتائبيون بسكان تل الزعتر أشنع تمثيل، فقد وضعوا الشيوخ والنساء تحت الشاحنات يسحقونهم تحت عجلاتها إضافة إلى بقر بطون النساء الحوامل، وقتل الشباب بالبلطات، وشقّ الإنسان نصفين بواسطة السيارات، حيث يربطون الشاب بسيارتين متجهتين اتجاهين عكسيين، فيقسموه إلى نصفين!!

اغتصبت النساء، ووضعت العصى في مناطق حساسة للفتيات على مرآي من أهاليهم..(!!)

لقد تعرَّض المخيم إلى اثنين وسبعين هجومًا عسكريًا، مما أدى إلى إخلاء المخيم في ١٢/ ٨/ ١٩٧٦م قهرًا وذلاً!!

وقد صمد المخيم، لمدة اثنين وخمسين يومًا متواصلاً.. راح ضحية المجزرة أكثر من ١٠٠٠ شهيد من المدنيين العُزَّل، وأكثر من ٥٠٠ شهيد من المقاتلين، في الوقت الذي كنا بحاجة لجهودهم في مجابهة عدو متربِّص بنا على الحدود وما زال!!

وفرضت دمشق وقف إطلاق النار، بعد أن دمر التل وقتل أطفاله، وفي تاريخ ١/٢٥ بدأت قوات الميليشيا بالانسحاب من شوارع بيروت، ورفع الحصار عن تل الزعتر «ورافق ذلك إعلان «بيير الجميل» بأن اللاجئين الفلسطينيين في لبنان يجب أن يتوزعوا على العالم العربي»[1].

* * *

(١) الحرب اللبنانية في صور، مقتطفات من الصحف اللبنانية والأوربية، مصدر سابق، ص ٢٨٥.

(ج) اجتياح إسرائيل للجنوب اللبناني عام ١٩٧٨م

لقد مهدت إسرائيل لاحتياج الجنوب اللبناني، وذلك من خلال عدة محاور سلكتها منها:

أولاً: تطبيق سياسة ما يدعى بالجدار الطيب، مسهلة المرور بين لبنان وإسرائيل، خاصة من رميش، وتل نحاس في الأراضي اللبنانية.

ثانيًا: تدريب الكثير من اللبنانيين تدريبًا عسكريًا داخل معسكرات اليهود، وبث روح التفرقة والطائفية في نفوسهم.

ثالثًا: ساعدت إسرائيل على تكوين الميليشيات الحدودية في كانون الثاني/ يناير عام ١٩٧٧م، بهجوم واسع النطاق ضد القوات المشتركة مما مكن لميليشيات «سعد حداد» من احتلال الطيبة.

رابعًا: تأليف لجنة فرعية لقضايا لبنان الجنوبي من قبل لجنة الشؤون الخارجية والأمن في الكنيست الإسرائيلي[١].

رمت إسرائيل من وراء ضغطها العسكري والسياسي المتمادي في لبنان، إلى ضرب الثورة الفلسطينية وتصفية مواقعها، وهدف إسرائيل كان السيطرة على لبنان من أجل تحقيق أطماعها بعد معاهدة صلح بينهما، ومن المعروف أن غزو الجنوب في ١٤ من آذار/ مارس عام ١٩٧٨م تم على أساس خطة قديمة، وضعت وصممت من قبل.

ولم تكن عملية «كمال عدوان» سوى مبرر لتنفيذ الخطة المرسومة سلفًا، والتي نفذها رئيس الأركان الإسرائيلية «موردخائي نمور» قبل أن يفسح في المجال «لرفائيل إيتان» لتولي منصب رئاسة الأركان الصهيونية[٢].

كثفت إسرائيل الهجمات على جنوب لبنان، وخاصة على النبطية وعلى الخيام من خلال حصار بحري من قبل البحرية الإسرائيلية لمنع وصول الأسلحة إلى القوات المشتركة، وقصف مدفعي للقرى الجنوبية.

ورغم أن إسرائيل لم تأت على ذكر أي شيء حول تدخلها في لبنان، طلبت بيروت

---

(١) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٩.

(٢) فلسطين الثورة، العدد ٣٦٤، المجلة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ١٩٨١م، ص ٩.

وساطة واشنطن لكي توقف تل أبيب عملياتها على الأراضي اللبنانية، ولكن إسرائيل - كعادتها - لم تلتزم بوقف العمليات العسكرية.

وفي مطلع عام ١٩٧٨م، تفجر الموقف من جديد وبشكل أوسع وأشمل، وذلك بعودة المعارك بين ميليشيات القرى الحدودية في مرجعيون وقليا، بقيادة «سعد حداد» الذي يدعمه الإسرائيليون وبين القوات المشتركة[١].

اجتاحت إسرائيل جنوبي لبنان، وذلك على أثر تكرار هجوم فلسطيني على جنوب حيفا - تل أبيب أسفر عن سبعة وثلاثين قتيلاً وثمانين جريحًا، ولقد كان هدف الاجتياح هو تصفية القواعد الفدائية على طول الحدود.

ودخلت إسرائيل بقواتها التي تقدر بين ٣٠ - ٣٥ ألف جندي - إلى الأراضي اللبنانية عبر عدة محاور هي[٢]:

محور في المنطقة الغربية: الناقورة، رأس البياضة.

محور في منطقة الوسط: مارون الرأس، وبنت جبيل.

محور في المنطقة الشرقية: المطلة على فلسطين المحتلة، عديسة والطيبة - مرجعيون الخيام - كفر شوبًا - راشيًا الفخار.

وهدف إسرائيل السيطرة على أكبر مساحة من الأراضي اللبنانية - وقد صرح وزير الدفاع الإسرائيلي بأن هذه ليست سوى عملية محدودة - ولكن الهدف هو إقامة حزام أمني على طول الحدود اللبنانية.

تصدت القوات المشتركة لهذا الهجوم وأوقفته عن التقدم، ولكن إسرائيل كثفت هجومها مرة أخرى وتوجهت نحو مدينة صور على أربعة محاور، وتمكن الإسرائيليون من احتلال المنطقة الواقعة جنوب نهر الليطاني ضواحي صور ومناطق مجاورة، ولقد استخدم الطيران الإسرائيلي منذ بدء العدوان قنابل انشطارية. ولقد بلغت مساحة الأراضي المحتلة من قبل إسرائيل حوالي ١١٠٠كم٢ متضمنة كافة قضاء بنت جبيل ومرجعيون وغيرهما.

---

(١) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ١٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢.

أفسدت الإدارة الوطنية الفلسطينية واللبنانية هدف العدو، وواجهت جحافل قواته المتقدمة، واستطاعت أن تتصدى له، وتحقق الكثير من خلال المعارك التي استمرت ثمانية أيام.

استخدمت إسرائيل عدة أساليب في تنفيذ خطتها العسكرية منها:

أولاً: حشد قوى عسكرية كبيرة.

ثانيًا: استخدم كافة أنواع الأسلحة، بحرية، دبابات، صواريخ، طيران، بما فيه طائرات (ف ١٥) و«الكفير».

ثالثًا: التركيز على كثافة النيران وتعدد محاور الهجوم[١].

رابعًا: القتال في جميع الأوقات ليلاً ونهارًا.

خامسًا: استهداف المدنيين، حيث دمرت قرى بأكملها وإصابة الكثيرين بهدف إجبارهم على الهجرة، واستطاعت القوات المشتركة أن تكبد إسرائيل خسائر في المعدات والأرواح، باتباعها حرب العصابات، من حيث مرونة الحركة والالتفاف خلف الخطوط، وقتل أكبر عدد من صفوف الجيش الإسرائيلي.

مع ملاحظة التلاحم النضالي بين المقاتل الفلسطيني واللبناني مع الجماهير في الجنوب اللبناني، والذي أدى إلى الثبات والثقة بالنصر.

لقد قال العميد «سعد صايل» عن حرب الجنوب - حيث كان يشرف على سير العمليات العسكرية «هذا الدرس هو واحد من الدروس المستفادة من حرب الجنوب حيث تظهر أهمية المعنويات والروح المعنوية لدى المقاتلين، والتي تؤدي أولاً إلى تعويض الفارق في الأسلحة والمعدات»[٢].

في حين فشلت إسرائيل في تنفيذ خططتها، وهو ما عبرت عنه عضو الكنيست الإسرائيلي (مايكة جروسمان) يوم ١٥/ ٥/ ١٩٧٨م منتقدة حكومة «بيجن» بقولها:

«لقد امتنعنا عن انتقاد العملية في جنوبي لبنان التي كانت فاشلة في تخطيطها

---

(١) فلسطين المحتلة، العدد ٢٨٢، مصدر سابق، ص ١٢.

(٢) مجلة شؤون فلسطينية عدد ٧٧ نيسان ٧٨، مقابلة مع العميد الركن سعد صايل.

وتنفيذها وفيما ترمي إليه»[1].

وأكد هذا الأمر أيضًا «ياسر عرفات» القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية، ردًا على سؤال حول حرب الجنوب في صحيفة (لوفيجارو) الفرنسية، تم نشره يوم ١٣ من نيسان/ إبريل ١٩٧٨م في باريس، حيث قال:

«عملية جنوب لبنان فشلت فشلاً ذريعًا لإسرائيل، وحققت نجاحًا كبيرًا لمنظمة التحرير الفلسطينية والعرب، وأن عدة دول قدمت السلاح والعتاد لمنظمة التحرير الفلسطينية وزادت الدعم للمنظمة، وأن أكثر من ٣٠٠٠ متطوع انضموا إلى صفوف المنظمة منذ بداية الهجوم»[2].

قدرت خسائر المقاومة الفلسطينية واللبنانية بعد اجتياح الجنوب بـ ١١٦٨ قتيلاً معظمهم من المدنيين، هذا بالإضافة إلى الخسائر المادية من جراء القصف للمدن والقرى الجنوبية، ولكن خسائر إسرائيل كانت تفوق الرقم المذكور بكثير.

لقد سطر المقاتلون أروع صور للبطولة الحية النادرة، لوقوفهم في وجه العدو، واستبسلت مدن الجنوب في الدفاع والصمود، فمدينة صور الباسلة تتحدى يوميًا الاعتداءات الصهيونية وتبقى شاهدة على آلات الدمار الحديثة.

بعد اجتياح جنوبي لبنان في مارس عام ١٩٧٨م من قبل الجيش الإسرائيلي وانسحابه في يونيو من نفس العام، تميز الوضع على الحدود اللبنانية وفلسطين المحتلة من قبل إسرائيل بما يلي:[3]

أولاً: تكريس دور الحارس على الحزام الأمني الإسرائيلي الذي تمارسه الميليشيات الحدودية بقيادة ضابطين لبنانيين عميلين لإسرائيل هما: «سعد حداد»، و«سامي شدياق».

ثانيًا: الحفاظ على الجدار الطيب «نقاط المرور التي أقامتها إسرائيل على الحدود مع لبنان»، والذي يستخدم لإيصال المساعدات العسكرية الإسرائيلية للميليشيات الحدودية.

---

(١) فلسطين المحتلة، العدد ٢٨٢، يصدرها مكتب الأرض المحتلة، بيروت ١٩٨١م، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٣) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ١٤.

ثالثاً: الحفاظ على القوات العسكرية التابعة للقوات المشتركة في مناطق بقيت تحت سيطرتها تضم مناطق: صور، والنبطية، وحاصبيا.

رابعاً: انتشار القوات الدولية، المكلفة بتثبيت السلام والأمن ومساعدة الحكومة اللبنانية على استعادة سلطتها الفعلية في المنطقة[1].

ورغم ذلك بقيت الثورة صامدة، يدها على الزناد جاهزة لأي أمر طارئ؛ لأنها آمنت بأن لها حقًا مغتصبًا، والتف شعبها حولها، مما أدى إلى انتصار لشعبنا العربي الفلسطيني، وهذا بطبيعته يجسد الحقائق التالية:[2]

أولاً: وضوح الهدف، وهو تحرير فلسطين.

ثانيًا: لقد عرف الشعب الفلسطيني طريقه ولن تثنيه أية صعوبات عن تحقيق هدفه.

ثالثاً: الثورة والأرض وحّدت الشعب، وخلقت منه قوة كبيرة قادرة على قلب حسابات الأعداء، وذلك بالتعبئة الجماهيرية على كل الساحات العربية من أجل تحرير فلسطين.

قامت إسرائيل باجتياح آخر عام ١٩٨٠م على جنوب لبنان لا يقل خطورة عن اجتياح ١٩٧٨م، بل يزيد عنه شراسة، وخاصة بعد تشكيل ما يسمي بدولة لبنان الحر عام ١٩٧٩م، حيث تم إرسال الجيش اللبناني إلى الجنوب من أجل السيطرة عليه، ولكن الميليشيات العميلة والمتعاونة مع إسرائيل كانت تمهد لكل عدوان على جنوب لبنان، فكانت تمثل الساعد القوي لإسرائيل؛ لأن الأخيرة أصرّت على أن يكون سعد حداد هو المسؤول الأول والأخير عن الحزام الأمني وقائد الميليشيات الحدودية التي أغدقت عليها إسرائيل بالأموال والأسلحة، فباعوا ضمائرهم.

وتتركز الأهداف الرئيسة لعدوان ١٩٨٠م، والذي يعدُّ من أكبر العمليات الإسرائيلية بعد اجتياح ١٩٧٨م في الأمور التالية:[3]

أولاً: شل القدرة القتالية الفلسطينية من خلال الانقضاض، وضرب أهم مواقعها

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٢) صوت فلسطين، العدد ١٥٧، تصدر عن إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي لجيش التحرير الفلسطيني، دمشق ١٩٨١م، ص ٣.

(٣) فلسطين المحتلة، العدد ٢٥٤، يصدرها مكتب الأرض المحتلة، بيروت ١٩٨٠م، ص ١٠ - ١٢.

العسكرية في مناطق الجنوب اللبناني.

ثانيًا: نقل الحرب الفلسطينية - لإسرائيل - من داخل الأرض المحتلة إلى خارجها.

ثالثًا: رفع الروح المعنوية المنهارة في الجيش الصهيوني، والتي وصلت إلى تدن ملموس.

رابعًا: توجيه ضربة عسكرية سريعة للثورة الفلسطينية من أجل إضعاف قدرتها السياسية على الحركة.

خامسًا: محاولة ضرب التلاحم الفلسطيني - اللبناني عبر معاناة الجماهير في القرى والمخيمات الجنوبية وتهجيرها من مناطق تواجدها.

لقد أفشل صمود ثوارنا وتصديهم الرائع محاولة العدو للوصول إلى قلعة أرنون، أي الشقيف، وسيطروا على الموقف تمامًا، وذلك بمحاصرة لقوات العدو، فكانت هذه العملية بمثابة مجزرة لجنوده وقواته على أيدي القوات الفلسطينية والقوات المشتركة في جنوبي لبنان، مما أذهل قادة العدو الصهيوني وعلى رأسهم مناحيم بيجن وإيتان.

إذن الجنوب اللبناني يواجه التحديات بكل القوة والثبات، وحطم الفدائيون أسطورة «سايكس بيكو»، وقرار الغزاة، وامتزج دم الفلسطيني بدم اللبناني.

عمدت إسرائيل على تكريس وجودها في جنوبي لبنان من خلال عملياتها العسكرية المتكررة، وتكوين الميليشيات الحدودية، فعقب اجتياح ٧٨ و٨٠ كان هناك اجتياح في أغسطس عام ١٩٨١م، حيث أقامت إسرائيل عدة مواقع عسكرية لها في جنوب لبنان واستنادًا إلى هذه المعطيات، وجه لبنان شكوى إلى منظمة الأمم المتحدة، ولكن هذه الخطوة لم تؤد إلى نتيجة.

إلى جانب أزمة الصواريخ التي بدأت في نيسان/ إبريل عام ١٩٨١م بين إسرائيل وسوريا تكثفت الاعتداءات الإسرائيلية في لبنان، وكانت العمليات الرئيسة في شهر نيسان/ إبريل من إنزال مظلي في السعديات، وغارات جوية على الجنوب اللبناني وقلعة الشقيف، وقد تلا ذلك معركة جوية سورية - إسرائيلية فأصيبت طائرة سورية، وأسقطت طائرتان إسرائيليتان، كما قالت دمشق ونفت تل أبيب[1].

---

(١) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٢٥.

كما أغارت إسرائيل بطائراتها الحربية على مدينة بيروت، فألقت بالقنابل الحارقة على المنشآت والمكاتب الفلسطينية، في منطقة الفاكهاني، وبلغ مجموع الضحايا حوالي ٣٠٠ قتيل و٨٠٠ جريح معظمهم من المدنيين[١].

ردت المقاومة الفلسطينية على غارات إسرائيلية بقصف الحدود الشمالية من فلسطين المحتلة، مما أدى إلى وقوع تسعة قتلى إسرائيليين، وقد أعلن بيجن تجاه ذلك أن جيش الدفاع الإسرائيلي سيقوم بضرب التجمعات الفلسطينية سكنية كانت أم عسكرية دون تمييز، واستمر نهر الدم الفلسطيني - اللبناني حتى كان اجتياح عام ١٩٨٢م.

* * *

(١) المصدر السابق: ن. ص، د. وانظر - أيضًا - إبراهيم الوحش، مأساة بيروت، مصدر سابق، ص١٠٢.

المبحث الثالث

أولاً - احتلال الجنوب اللبناني وبيروت عام ١٩٨٢م.

ثانيًا - حصار بيروت.

ثالثًا - المذابح - صبرا وشاتيلا.

أولاً: احتلال الجنوب اللبناني وبيروت عام ١٩٨٢م:

كان اجتياح لبنان عام ١٩٨٢م مخططًا له منذ السابق من خلال العمليات العسكرية التي سبقت الاجتياح، حيث الحرب الإسرائيلية الثالثة - الحرب الأولى هي ما يسمى بعملية الليطاني في مارس ١٩٧٨م، والحرب الثانية هي حرب الأربعة عشر يومًا عام ١٩٨١م - فبعد أن تواصلت الحرب وامتد زمانها واتسع مداها خلافًا لكل التقديرات التي وضعها العسكريون الإسرائيليون وحلفاؤهم في البنتاجون، وكان هدفهم هو الوصول إلى بيروت وتدمير الجسم العسكري لمنظمة التحرير الفلسطينية، وتوهموا أن المدة الكافية لتحقيق ذلك هي أربعة أيام في الغالب، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك، إذ استمرت الحرب ثمانين يومًا أي من ٤ من يونيو إلى ٢١ من أغسطس ١٩٨٢م، وكانت نزهة الجيش الإسرائيلي التي خطط لها قادته مقبرة لهم، وشكلت جرحًا لم يتوقف نزيفه[١].

بدأ التوتر على الحدود اللبنانية والحدود الفلسطينية المحتلة من قبل إسرائيل جليًا منذ عام ١٩٨٢م، وبلغ الذروة، عندما أصيب السفير الإسرائيلي في لندن «شلوما أرغون»، بجروح بليغة من جراء تعرضه لإطلاق نار في ليل ٣ - ٤ من يونيو، اتهمت إسرائيل منظمة التحرير الفلسطينية، رغم أن هذه الأخيرة أنكرت الاعتداء وأدانته، وقامت إسرائيل على الفور بهجوم واسع على لبنان[٢].

في ٤ من يونيو حصلت غارات جوية كثيفة استهدفت المخيمات ومواقع الفلسطينيين في بيروت الغربية، وفي الجنوب مسفرة عن ستين قتيلاً و٢٧٠ جريحًا، فيما رد الفدائيون بقصف الجليل الأعلى[٣]، واستمر القصف الإسرائيلي لمواقع الفلسطينيين والمخيمات في الجنوب اللبناني حتى كان يوم ٦ من يونيو حين اجتاحت إسرائيل جنوبي

---

(١) د. إبراهيم الوحش: مأساة بيروت، مصدر سابق، ص ١٠٥.

(٢) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٢٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨.

لبنان، وكان هدفها المعلن.

«وضع جميع سكان الجليل بعيدًا عن مرمى الفدائيين الذين ركزوا مواقعهم في لبنان».

وأُعطى للعملية اسم «سلامة الجليل» فيما حدَّد رئيس الوزراء الإسرائيلي، مناحيم بيجن منذ البداية حدود العملية، لقد تلقى الجيش الإسرائيلي أمرًا بطرد القوات الفلسطينية نحو ٤٠ كم جهة الشمال «إلا أن هذا الإطار الواسع تم تجاوزه مسافة أبعد بكثير، مما غيّر على نحو مفاجئ الأهداف السياسية للعملية»[١].

والواضح أن تخطيط قادة العدو الإسرائيلي جرى من أجل القضاء على الفدائيين وقواعدهم في جنوب لبنان، وهناك معطيات ومبادئ رئيسة اتفق عليها من قبل «إريل شارون» - وزير الدفاع - و«رفائيل إيتان» - رئيس الأركان ومجلس الوزراء - وهي[٢]:

أولاً: الجيش الإسرائيلي سيدخل إلى لبنان في ثلاثة محاور رئيسة، المحور الغربي على طول الشاطئ باتجاه صيدا، والمحور الأوسط إلى قلعة شقيف، وهضبة النبطية، والمحور الشرقي باتجاه حاصبيًا.

ثانيًا: ستبذل إسرائيل كل ما بوسعها لتحاشي المجابهة العسكرية مع السوريين.

ثالثًا: مدى العملية: حوالي ٤٠ كم من الحدود الإسرائيلية، وذلك لإبعاد المستوطنات الشمالية عن مدى مدفعية الفدائيين.

رابعًا: سيكون وقت العملية من ٢٤ - ٤٨ ساعة فقط.

خامسًا: بيروت وضواحيها لا تقع ضمن أهداف العملية[٣].

وقد اقترح بعض الوزراء في إسرائيل توجيه إنذار لسوريا، بأن تقوم بطرد الفدائيين من سهل البقاع، ولم ينقطع المد الأمريكي لإسرائيل طيلة مدة الغزو للبنان، بل شاركت أمريكا بالمال والسلاح والقنابل العنقودية والفسفورية، وتفننت إسرائيل في قتل الأطفال

---

(١) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٢٨.

(٢) غازي السعدي: الحرب الفلسطينية - الإسرائيلية في لبنان ٤ أهداف لم تتحقق، ط١، ١٩٨٤م، ص ٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٥.

والشيوخ والنساء في مدن وقرى جنوبي لبنان[1].

«وما يحزن أن الأنظمة العربية لم تتفق حتى على مجرد اللقاء لمواجهة العدو الصهيوني، ولكنها سرعان ما اجتمعت بعد خروج المقاومة من بيروت، واتفقت على التعايش مع العدو وفق حدود آمنة ومعترف بها»[2].

وضحت صورة الهدف الذي تريده إسرائيل من وراء عملية «سلامة الجليل»، وهو إقامة دولة مارونية في لبنان يتسلم قيادتها اليمين اللبناني، وهذا ما ورد في صحيفة «معاريف» الإسرائيلية الصادرة بتاريخ ٣/ ٦/ ١٩٨٣م[3].

وبعد عشرة أيام احتلت إسرائيل الجنوب اللبناني ووصلت إلى العاصمة بيروت، ووضعت العالم بأسره أمام حقيقة جديدة مرة، ولم تعبر الدول العربية إلا عن سخطها المكبوت الذي لم تأبه له الإدارة الأمريكية قطا!!

وفي ١١ من يونيو أعلنت إسرائيل التي احتلت حوالي ٢٨٠٠ كم٢، أي أكثر من ربع الأراضي اللبنانية - وقفًا لإطلاق النار من جانب واحد عن سوريا، أما منظمة التحرير فهي غير معنية، إذ استمر القصف الإسرائيلي لبيروت الغربية بالتعاون مع الكتائب العملاء في بيروت الشرقية[4].

وتقدمت القوات الإسرائيلية حتى وصلت إلى القصر الجمهوري في بَعْبَدا.

«وفي الحقيقة إن إسرائيل اجتاحت الجنوب اللبناني، بل لبنان كله، وحاصروا بيروت وارتكبوا المجازر، وأحرقوا المزروعات، ودمروا القرى، والمخيمات، والمدن، وقتلوا وجرحوا عشرات الآلاف وشردوا مئات الآلاف وارتكبوا بحق الإنسان جرائم لا يمكن لعقل بشري أن يستوعبها أو يقبل بها»[5].

حين فشلت إسرائيل في تحقيق أهدافها العسكرية، وخاصة القضاء على البنية

---

(١) د. إبراهيم الوحش: مصدر سابق، ص ١٠٨.

(٢) نزيه أبو نضال: في مواجهة عقلية التسوية، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص ٧٤.

(٣) غازي السعدي: الحرب الفلسطينية - الإسرائيلية في لبنان، مصدر سابق، ص ٦٥.

(٤) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٣٠.

(٥) والجراح تشهد، مذكرات طبيب في الحصار، دمشق الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين (تقديم جورج حبش)، ط١، ١٩٨٢م، ص ٧، ٨.

التحتية لمنظمة التحرير، صبت جام غضبها على المدنيين الأبرياء، وزجت بهم داخل غياهب السجون الإسرائيلية، خاصة سجن «أنصار» الشهير.

وقد أعربت منظمة العفو الدولية عن قلقها لقيام الجيش الإسرائيلي بالقبض على أكثر من ١٢ ألف شخص من الفلسطينيين واللبنانيين، بينهم مدنيون تم احتجازهم في سجن «الأنصار» في جنوب لبنان[١].

ولقد تم إطلاق صراح المعتقلين في «أنصار» عام ١٩٨٣م، وذلك في عملية تبادل الأسرى بين منظمة التحرير وإسرائيل، حيث أفرجت إسرائيل عن ٤٥٠٠ معتقل مقابل ستة جنود صهاينة، وتعتبر عملية تبادل الأسرى هذه أكبر عملية تبادل في الشرق الأوسط، ولكن كانت هناك أسباب لعملية الإفراج عن المعتقلين وهي:

أولاً: وصول الممارسات في الجنوب إلى ذروتها بعد إقفال معابر الجنوب وحملات الاعتقال الجماعية فتأتي عملية إطلاق سراح المعتقلين محاولة فاشلة لتجميل صورة إسرائيل أمام العالم.

ثانيًا: عجز إسرائيل عن وضع حد للانتفاضات اليومية في المعتقل، بحيث تضطر لحشد جزء كبير من قواتها في معتقل أنصار لمواجهة تمردات الأسرى.

ثالثًا: لقد كلف إقامة المعتقل - تجهيزات واسعة وأطعمة وألبسة - ملايين الدولارات لإسرائيل، وهي تعاني من أزمة اقتصادية خانقة.

رابعًا: تصاعد المقاومة الوطنية المسلحة والمدنية في الجنوب لدرجة أن كل الاعتصامات والتظاهرات التي عمت قرى الجنوب ومدنه كان شعار الإفراج عن معتقلي «أنصار» فيها يتصدر كل الشعارات[٢].

بالإضافة إلى كل هذا فعندما يصبح الجنوب اللبناني كله معتقل «أنصار»، فما الفائدة من المعتقلات الصغيرة؟ فصمود المعتقلين الأسطوري حوّل المعتقل إلى ساحة ملتهبة لمواجهة الاحتلال. وهو الذي فرض على العدو إطلاق سراحهم.

---

(١) د. حسن جوني: جرائم إسرائيل بحق الأسرى والمعتقلين، منشورات وزارة الإعلام اللبنانية، ٢٠٠١م، ص ٨.

(٢) سعدون حسين: أنصار ٣٣، مؤسسة الرؤى للطباعة والتوزيع، لبنان، ط١، ١٩٨٤م، ص ١٥٥، ١٥٦.

استشهد في المعتقل الكثير من الأطفال الذين عبّدوا لنا الطريق بدمائهم الطاهرة التي ستثمر أقحوانا وزهرا أبيض اللون، ينير لنا الدرب لنسير على هدي هؤلاء الشهداء الأبطال الذين سبقونا إلى جنة الخلد، وتلك وصية لأحد الشهداء واسمه عباس بليطة يقول فيها:

أماه.. ديني قد دعاني للجهاد والفدا

أمـــاه.. إني زاحف للخـــالدين لن أترددا

أمـاه.. لا تبكي عليّ إذا سـقطت ممددا

فالموت ليس يخيفني، ومناي أن أستشهدا[1]

* * *

(١) د. إبراهيم الوحش: مأساة بيروت، ص ١٢٥.

ثانيا: حصار بيروت:

تقدم الجيش الإسرائيلي نحو مدينة بيروت العاصمة لاحتلالها بعد أن احتل جنوب لبنان بأكمله، ولكن بيروت لم تكن سهلة أمام جيش العدو الإسرائيلي، بل قاومت بيروت مقاومة عنيفة، وخاضت قوات الثورة الفلسطينية معارك قاسية حول مدينة الفقراء.

«دخلت القوات الإسرائيلية بقيادة وزير الدفاع «أرييل شارون» إلى بعبدا مقر الرئاسة اللبنانية، وفي الوقت نفسه تعرضت بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية لغارات جوية إسرائيلية وقصفت خلدة والأوزاعي من البر والبحر، ودارت هناك معارك عنيفة بين القوات الإسرائيلية، والقوات المشتركة ومقاتلي حركة أمل، والوحدات السورية التابعة لقوات الردع العربية من جهة أخرى»[1].

في الثالث عشر من يونيو عام ١٩٨٢م، اجتاحت إسرائيل رأس الناقورة وصولاً إلى رأس السلطة الشرعية في بعبدا، واستمر التقدم الإسرائيلي حتى منطقة الحدث، وتم تطويق العاصمة بيروت في اليوم السابع والعشرين من الشهر نفسه حين ألقت الطائرات الإسرائيلية منشورات فوق بيروت الغربية تدعو المدنيين إلى ترك المنطقة.

وقد فرض الاحتلال أمورًا قهرية، حيث قطع الكهرباء والماء عن المدينة المحاصرة، ومنع دخول التموين والعلاج إليها.

«كانت الحياة في بيروت خلال الحصار صاخبة وقذرة وخطرة ومتفجرة.. كانت فترة مخيفة من الجوع والعطش اللذين يرافقهما القصف الإسرائيلي ومحاولة إخضاع حوالي أربعمائة ألف نسمة من أجل تحقيق استسلام عشرة آلاف مقاتل بينهم.. ومع الأيام وجد سكان بيروت الغربية التي كانت من الغريب لا تزال تضم عددًا كبيرًا من المسيحيين - وجدوا أنفسهم ينحازون أكثر فأكثر إلى الفلسطينيين والمدافعين عن المدينة. فالحقيقة هي أن هؤلاء الرجال الطويلي اللحية السيئي الملابس كانوا يدافعون عن المدينة ويحققون ما لم يفعله أي جيش عربي إطلاقًا»[2].

قام الإسرائيليون بالغارات الجوية والبحرية على بيروت الغربية وعلى ضاحيتها الجنوبية، وقصف الطيران المواقع السورية في المتن الأعلى، والبقاع، هذا وقد وصل

---

(١) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٣٠، ٣١.

(٢) جون بولوك: مضاعفات الغزو الإسرائيلي، جريدة الخليج، ٢٨/ ١١/ ١٩٨٥م، ، ص ١٧.

العنف أوجه في الثاني عشر من أغسطس بقيام الإسرائيليين بغارات جوية لمدة إحدى عشرة ساعة على بيروت الغربية، مما أدى إلى سقوط أكثر من ٥٠٠ قتيل وتدمير حوالي ٨٠٠ منزل[١].

لقد واجه الإسرائيليون أشد المعارك وأعنفها على مثلث خلدة، حيث قدمت القوات الفلسطينية واللبنانية أروع البطولات والتضحيات، ففي خلدة وقعت معركة كبيرة بين القوات الإسرائيلية، والقوات المشتركة، معركة خلدة وقعت في منطقة لا تتجاوز رقعة القتال مئات الأمتار المربعة، وحيث لا توجد تحصينات طبيعية أو غير طبيعية على الإطلاق، وحيث كان القصف البحري والجوي والبري لا يترك شبرًا من تلك المنطقة إلا ويحرقها، تمكن المقاتلون اللبنانيون والفلسطينيون والسوريون من الصمود أكثر من سبعة أيام، كان يمكن لها أن تمتد لأسابيع، لولا المفاجأة بالتفاف جيش الاحتلال على هؤلاء المقاتلين من الخلف، حيث استشهد قائد الموقع الشهيد البطل «عبد الله صيام»، وهو يحمل الآر. بي. جي. في يده برصاص رشاش ثقيل أطلق عليه من الوراء[٢].

لقد صمم «شارون» على تدمير بيروت على أهلها جميعًا، فبدأت قوات إسرائيل بقصف مدفعي ضخم في منطقتين هما المزرعة، الفاكهاني من جهة والمركز التجاري في بيروت الذي دمرته الحرب الأهلية، وأصبح غير مأهول سوى من بعض وحدات جيش التحرير الفلسطيني[٣].

ورغم الحصار فإن المقاومة لم تتوقف، بل أخذت أشكالاً مختلفة فكان نسف قصر القيادة الإسرائيلية في بيروت، ونسف السفارة الأمريكية بها بعد رحيل المقاومة.

قاتلت جميع القوى الوطنية الموجودة في بيروت بفاعلية وشجاعة وقدمت الشهداء والجرحى، كل القوى الوطنية، القوات الفلسطينية، وحركة أمل في السابق، والحركة الوطنية اللبنانية، وجيش التحرير الفلسطيني، والقوات السورية المتواجدة في نفس المكان.

---

(١) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) معن بشور: بيروت من الحصار إلى الانتفاضة، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص ٣٢.

(٣) جون بولوك: مضاعفات الغزو الإسرائيلي، جريدة الخليج، ص ١٧، ١٤/ ١٣/ ١٩٨٥م.

وقد توقف القتال بين الطرفين، وكانت النتيجة خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت.. وكانت المأساة.. «بعد أسبوع على وقف إطلاق النار، عرض الموفد الرئاسي الأمريكي «فيليب حبيب» مشروعًا متعلقًا من جهة بإجلاء المقاتلين الفلسطينيين عن بيروت الغربية، وكذلك القوات السورية التابعة لقوات الردع العربية، ووافقت السلطات اللبنانية والإسرائيلية على المشروع[1].

أطلقت القوات الفلسطينية سراح طيار وجندي إسرائيليين كانت قد أسرتهما في جنوب لبنان أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٧٨م، بالإضافة إلى تسع جثث لجنود إسرائيليين.

لقد كان لخروج المقاومة الفلسطينية من بيروت إلى قبرص، ومنها إلى الأردن الأثر الكبير؛ لأنها خلفت فراغًا ثوريًا وصمودًا لم تشهده بيروت، خرجت الثورة الفلسطينية رافعة الرأس من بيروت؛ لأنها كانت تقاتل عن شرف الأمة العربية إن كان هناك ثمة شرف قد بقي أو نقطة حياء في جبينها؟!

وبعد الخروج كانت الكارثة التي لا يقبلها ضمير حي.. جريمة العصر التي ارتكبها الإسرائيليون وعملاؤهم من الكتائب ضد شعب أعزل من السلاح.. ضد الأطفال والنساء بعد خروج الأبطال الذين حرموهم من دخول بيروت.. كانت مجزرة «صبرا وشاتيلا» التي أذهلت العالم وبيّنت الحقد اليهودي ضد كل مسلم وكل عربي يحب دينه ووطنه ويدافع عنه ببسالة وشرف.

* * *

(١) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٢٢.

ثالثًا: المذابح/ صبرا وشاتيلا:

في ١٠ من أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢م بدأ انسحاب القوات المتعددة الجنسيات، والمفترض أن يبدأ في ٢٢ من أيلول، وانتهى الانسحاب في ١٣ من الشهر نفسه، وفي اليوم التالي، قتل في انفجار في مقر حزب الكتائب في الأشرفية قائد القوات اللبنانية «بشير الجميل»، الذي كان قد انتخب رئيسًا للجمهورية بمساعدة إسرائيلية.. وبعد انتخابه بساعات قليلة دخل الجيش الإسرائيلي بيروت الغربية بهدف الحفاظ على الأمن كما يدَّعون في تل أبيب.

«وكان الرئيس بشير الجميل رافضًا السماح لأي فلسطيني بالبقاء في لبنان، فقد تخوَّف من إقامتهم إقامة مستديمة، وخاصة بعد انسحاب إسرائيل وسوريا»[1].

اتفق الكتائب مع الجيش الإسرائيلي على تنظيف بيروت الغربية، وكان كل ذلك يجري في سرية تامة، إذ إن الجيش الإسرائيلي احتل المخيمات وتمركز على أسطح المنازل، وكان القتل والتمشيط هي مهمة ألقيت على عاتق قوات الكتائب وسعد حداد وعملاء إسرائيل.

ومجزرة صبرا وشاتيلا كانت الفاجعة، ولم تقتصر على قتل الأطفال والشيوخ، بل تعدت ذلك إلى اغتصاب جماعي للنساء، حيث يتعاقب خمسة جنود على اغتصابها، وبعد ذلك تقتل المرأة!!

«وقعت عدة أحداث في أيام المجزرة الرهيبة: نساء وأطفال أتوا إلى قرب جامع عبد الناصر على كورنيش المزرعة، وطلبوا من رجال الاستخبارات دخول جيش الدفاع الإسرائيلي منطقتي صبرا وشاتيلا لحمايتهم، صبيّة شهدت أمام المحقق أنها شاهدت بأم عينها كتائبيًا يقتل أمًا وأطفالها داخل المخيم، مئات من النسوة الفاضيات خرجن مولولات جماعة «سعد حداد» آتون لقتلنا»[2].

«وفي يوم الخميس دخلت الوحدات الأولى من الميليشيات الكتائبية إلى مخيمي صبرا وشاتيلا من الشويفات، كما أقامت رئاسة لها قرب الجامعة العربية، لكن الكثير

---

(١) زئيف شيف، أهود يعاري، يعقوب تيمدمان: لبنان آخر وأطول حروب إسرائيل، ترجمة: علي حداد، جـ١، شركة المطبوعات الشرقية، دار المروج ١٩٨٥م، ص ١٦٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

من الرجال الذين كان لهم ضلع فيما حصل بعد ذلك جاءوا من الدامور، بينما كان الآخرون من فرقة الأمن الخاص في ميليشيات الكتائب بقيادة «إيلي حبيقة» الذي كان حلقة الصلة بين الكتائب وموساد المخابرات الإسرائيلية، ومن القادة المسيحيين الذين اشتركوا في المذبحة «جوزيف إدّة» قائد قوة الميليشيا في الجنوب، و«ديب أنطاس» - رئيس الشرطة العسكرية في الكتائب - و«ميشيل زوين» الذي قاد الهجوم عام ١٩٨٠م ضد قوات «شمعون»، و«مارون ميشيلاتي»[١].

كان مجموعة رجال الميلشيا المسيحية الذين دخلوا المخيمين ما بين ثلاثمائة وأربعمائة رجل، بالإضافة إلى ذلك رجال سعد حداد، ولم يجدوا مقاومة لأنهم جاءوا بعد خروج الرجال المقاتلين من بيروت، ومن قاوم قتل داخل المخيم.

ساعد الإسرائيليون الكتائبين في عملية اقتحام مخيمي صبرا وشاتيلا وتنفيذ مهمتهم بنجاح، وذلك بإطلاق الأضواء الكاشفة في الليل، واستمر الكتائبيون في قتل الأطفال والنساء، أما الرجال فقد صفوهم في صفوف وأطلقوا النار عليهم جميعًا!!

«وفي اليوم الثالث لم يبذل أحد جهدًا لإخفاء ما كان يجري في المخيمين، وأطلقت الكشافات ثانية، ودوى صوت الرصاص، وعويل النساء وصراخ الأطفال عندما استمرت عمليات القتل، ولقد أخفقت القوات الإسرائيلية في وقف المذابح، وفي ذلك اليوم دخلت الجرافات لتدفن الجثث في قبور جماعية، بينما جاءت ميليشيات جديدة لتريح السابقة من عمليات القتل وتباشر دورها»[٢].

شهادات من قلب المخيم تصف لنا هول المنظر وقسوة القلوب وجريان الدم في كل بيت واغتصاب الفتيات الصغار.. فتاة تروي قصتها، فتقول:

(جاء أحد المسلحين الكتائب، وقال لأخي الصغير «بعدك هون يا أخو الكلب». أخرجونا من البيت، اثنان من إخوتي الصغار ظلوا في الحمام، خافوا ولم يخرجوا أنا وأبي وأختي وأربعة من إخوتي، ثم أمرونا أن ندخل إلى البيت، صفونا إلى الجدران و«درزونا» بالرصاص. أربعة من إخوتي ماتوا.. اثنان منهم طلع مخهم. أختي أصيبت في كتفها، أبي في ظهره وصدره وأنا في رأسي وظهري وكتفي.. المسلحون الذين رأيتهم

---

(١) مضاعفات الغزو الإسرائيلي للبنان، جون بولوك، جريدة الخليج، ٣/ ١/ ١٩٨٦م، ص ١٧.

(٢) المصدر السابق: ن. ص.

كانوا يرتدون ملابس عسكرية فاتحة، ويضعون عليها شارة «القوات اللبنانية»، لهجتهم لبنانية، وبالأخص بيروتية»[1].

أثارت مجازر صبرا وشاتيلا ردود فعل وصفها الرئيس الفرنسي «فرانسوا ميتران» بـ «الاشمئزاز»، وهي موحية حسب قول الرئيس الأمريكي «ريجان» بـ «شعور عام بالغضب والاستهجان» هذه الشهادات ترافقت مع إدانة جماعية، شاركت فيها قوى إسرائيلية، حيث قامت في ١٩ من الشهر نفسه تظاهرة احتجاج ضمت ممثلي أحزاب المعارضة الرئيسية مع أعضاء من الكنيست أمام منزل رئيس الوزراء مناحم بيجن في القدس»[2].

لكن الغريب أن هذه المجزرة لم تحدث أي ردة فعل من الأمة العربية من المحيط إلى الخليج إلا من سكان الأرض المحتلة الذين نددوا بالمجزرة ومرتكبيها، بينما صمت الآخرون، وقد طال صمتهم!!

كان للعامل الإسرائيلي أكبر الدور في الأزمة اللبنانية، وفي ارتكاب مثل هذه المجازر «لأنه أراد احتلال أكبر جزء من الأراضي اللبنانية، وتمزيق لبنان إلى دويلات طائفية لتكون إسرائيل هي الدولة الأقوى في المنطقة، وشل فاعلية الثورة الفلسطينية على الصعيدين العسكري والسياسي، وأرادت إسرائيل أن تخلق قضية بديلة عن القضية الفلسطينية، بحيث تصبح الأزمة اللبنانية عبئًا على الوضع العربي، ومن ثم ننسى القضية الأم (فلسطين)!!»[3].

كما أن هدف إسرائيل لم يكن الفلسطينيين ولا اللبنانيين، إذ أنها دمرت نصف لبنان، وقتلت ٢٥ ألف مدني لبناني، بالمقابل مصرع ستمائة جندي إسرائيلي، ولكن الحرب اللبنانية لم تكن إلا ستارًا وتمويهًا لهدف مناحيم بيجن، وهو ضم الضفة الغربية وجعلها جزءًا لا يتجزأ من إسرائيل، وستارًا لبناء أكبر عدد من المستوطنات الصهيونية في فلسطين المحتلة.

---

(١) شؤون فلسطينية، العدد ١٣٢، ١٣٣، ١٩٨٢م، ص ٤٢.

(٢) الجنوب اللبناني حقائق وأرقام، ١٩٤٨م - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص ٣٥.

(٣) فلسطين المحتلة، العدد ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، تصدر عن مكتب الأرض المحتلة، فتح، بيروت، ص ٨٢ - ٨٤.

«وأصبح في لبنان ما لا يقل عن ثلاثمائة ألف إنسان بلا مأوى، معظمهم من الفلسطينيين بعد أن سويت مخيماتهم بالأرض، أما المبالغ اللازمة لإصلاح ما دمره الغزو الإسرائيلي فيقول الرئيس «أمين الجميل»: بأن المبلغ حوالي ثمانية بلايين دولار، منها ثلاثة بلايين لإعمار بيروت الغربية فقط»[1].

لقد كشف ياسر عرفات - رئيس منظمة التحرير الفلسطينية آنذاك - أسرار الخديعة التي أدت إلى المجزرة، حيث أكد بأنه طلب ضمانًا لحماية المخيمات بعد خروج المقاومة، ووجه ذلك الطلب إلى «فيليب حبيب».. يقول: «لقد كنت في روما وفاتحت المسؤولين الإيطاليين بذلك الطلب فصارحوني بأن هناك خطأ حدث بالفعل.. وكانت خديعة حقًا.. انسحبت القوات المتعددة الجنسيات يوم ١٢ من أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢م قبل موعدها المحدَّد.. واغتيل الرئيس المنتخب «بشير الجميل» على أيدي الإسرائيليين في يوم ١٤ من أيلول (سبتمبر) بوساطة ضباط من حزبه تدربوا في إسرائيل.. ويوم ١٥ من أيلول (سبتمبر)، قامت قوات العدو باقتحام بيروت الغربية وحاصرت المخيمات الفلسطينية، ومنعت عنها الدخول والخروج، وفي ذلك اليوم وصلت وحدات الكوماندوس الإسرائيلية إلى مطار بيروت، وبعد ذلك وفي يومي ١٦، ١٧ من أيلول (سبتمبر)، نفذت المجزرة على أيدي هاتين الكتيبتين اللتين ضمتا بعض الجنود والضباط من ميليشيات سعد حداد»[2].

ويضيف «عرفات» قائلاً: «إن إسرائيل تدعي بأن ميليشيات سعد حداد هي التي نفذت المجزرة، وأنا أقول: وهذا ما رواه لي شهود عيان كانوا في المخيم وأدلوا لي بشهاداتهم، أقول: إنه كان هناك بالفعل بعض الضباط من ميليشيات سعد حداد، لكن هؤلاء كانوا يعملون فقط كمرشدين وأدلاء للقوات الإسرائيلية، لقد ارتكبت إسرائيل هذه المجزرة التي ذهب ضحيتها ما يقارب ثلاثة آلاف ومئتين وسبعة وتسعين شهيدًا من النساء والأطفال والشيوخ»[3].

وقيل: إن عدد القتلى وصل نحو ٣٥٠٠ قتيلاً!

وتحدث مراسلوا الصحف عن مشاهدتهم داخل مخيمي صبرا وشاتيلا بأحاديث،

---

(١) توني كليفتون وكاترين ليروي، من تل الزعتر إلى صبرا، مصدر سابق، ص١٨.

(٢) المستقبل، السنة السادسة، العدد ٢٩٢، في ٢٥ من أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢م، ص ٣٠.

(٣) المصدر السابق: ن. ص.

وضحت الصورة المذهلة التي عاشها سكان المخيمين، مما جعلهم يضطرون لأكل لحوم الحيوانات من قطط وفئران، بل راحوا يستفتون في أكل لحوم الجثث البشرية!!

ويصوّر ذلك الشاعر رشاد يوسف بقوله في قصيدة «فتوى»:

يا رفاق الجرح والأهوال والأسر المهين

أي فتوى تمنح اللقمة أو تمحو الأنين؟

حلّل الجوع لكم أكل رفاق السابقين!

اخرجوا جثة من شئتم فلستم آثمين!

وكلوا الجيفة والميت وأوراق الغصون!

وفي نهاية قصيدته يقول:

يا رفاق الجرح والأهوال ماذا ترهبون؟

اصرخوا في مسمع الأيام: لسنا لاجئين

اشعلوا الأرض ضرامًا فوق رأس القادرين

وكلوا الأموات إن شئتم، وموتوا واقفين[1].

ويقول مراسل إحدى الصحف العالمية: «شاهدت في المخيمات متناقضات غريبة.. عائلة تفترش حصيرًا بلاستيكيًا بالقرب مما اعتقدت بأنه حديقة، ثم تبين لي أنه قبر جماعي لحوالي مائتي قتيل من ضحايا المذبحة.. وكان هناك علمًا فلسطينيًا مغروسًا في التربة الحمراء، واقتربت من العلم، فإذا بعبارات قد كتبت عليه «إن مذابح صبرا وشاتيلا يا شارون ستجعلنا أكثر تصميمًا»، ثم «إننا نعاهد شهداءنا الأبرار على الاستمرار في القتال حتى النصر، وإقامة وطن فلسطيني مستقل»[2].

وقال جاك ريدن مراسل وكالة يونايتد برس الأمريكية: «إن مئات الرجال والنساء والأطفال ذبحوا في مخيمي صبرا وشاتيلا على أيدي الميليشيات اليمينية المتحالفة مع إسرائيل في حفلة قتل جماعية ماجنة انتهت صباح السبت ١٧/ ٩/ ١٩٨٢م، ونقل ريدن

---

(١) ديوان وإسلاماه (مخطوط).

(٢) توني كليفتون وكاترين ليروي: من تل الزعتر إلى صبرا وشاتيلا، مصدر سابق، ص ١٣٦.

عن صحفي نرويجي لم يذكر اسمه..... قال: «لقد شاهدت رافعات شوكية تجرف الجثث مع الأنقاض ليلاً، بينما كانت القوات الإسرائيلية تطلق القنابل الضوئية فوق المخيمين من مواقعها الغربية، وتسمع زخات رصاص كثيفة في المخيمين، ولقد نجا أطباء أمريكيون وغربيون يعملون في المخيمين من الموت بأعجوبة، وقالوا: إن عمليات القتل استمرت حتى وقت مبكر من صباح السبت، وأن المخيمين أصبحا في الساعة التاسعة من صباح السبت صامتين تمامًا، وأن الأعلام البيضاء كانت ترفرف فوق المنازل التي لم يصبها الدمار، لكنه لم يكن هناك أحياء على الإطلاق[1]».

كان القتل جماعيًا والجثث ملتوية ومكدسة، والذباب يحول حول الجثث؛ لأنها تعفنت ولا تسمع إلا أصوات الذباب حول جثث الأبرياء، وقد تجد عائلات كاملة قتلت ودفنت في قبر جماعي، إن مجزرة صبرا وشاتيلا فيها من القول والفاجعة ما يعجز الإنسان عن وصفها.

«١٧٠ ألف قذيفة صبَّت حممها على بيروت في يوم واحد.. دمار وحرائق.. عدد الضحايا من القتلى والجرحى استعصى على الإحصاء والتقدير، الجوع والعطش وصرخات الأطفال تسود المدينة بحثًا عن جرعة حليب بعد أن جفت أثداء الأمهات المشردات والجائعات.. الجرحى والمرضى تنهار من فوقهم المستشفيات بعد أن خلت من كل ضرورات العلاج، ومنهم من يدعو ربه لأن يأخذ روحه ويريحه من ويل العذاب»[2].

والغريب أن الإسرائيليين يتبرأون مما حدث، كما لو أن هناك من سيعاقبهم، هذا مع العلم أنهم قتلوا في غاراتهم المتعدِّدة أكثر من خمسة وعشرين ألف فلسطيني[3].

هذا وقد قدَّر الخبراء أن عدد ضحايا الحروب في لبنان بلغ نحو ١٤٤,٢٤٠ قتيلاً، و١٩٧,٥٠٦ جريحًا، و١٧,٤١٥ مفقودًا، كما بلغ عدد المهاجرين اللبنانيين إلى الخارج نحو ٦٢,٠٠٠ مهاجر سنويًا، وقدِّر عدد المهاجرين في الفترة من ١٩٧٥/ ١٩٩٠م نحو ٩٣٣,٠٠٠ مهاجر، أي يقرب من مليون مهاجر[4]!!! هذه الإحصاءات قبل أن ندرك الألفية الثالثة، والتي وقعت فيها حرب تموز ٢٠٠٦م. -

---

(١) التقرير السياسي، مركز الخليج للدراسات العربية، جريدة الخليج، السنة الثالثة، العدد ٢، ص ١٦.

(٢) النازيون الجدد ولبنان، مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع، مركز الدراسات العربية والدولية، أبو ظبي ١٩٨٣م، ص ٧.

(٣) توني كليفتون وكاترين ليروي: من تل الزعتر إلى صبرا وشاتيلا، مصدر سابق، ص ١٦٣.

(٤) د. فردريك معتوق: معجم الحروب، جروس برس، بيروت ١٩٩٦م، ص ١٧٨.

الفصل الثالث

خروج المقاومة الفلسطينية وأثرها على لبنان

المبحث الأول

خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت

خرجت المقاومة الفلسطينية من بيروت، بعد محاولات كثيرة من قبل أعداء الأمة العربية، وهي محاولات تهدف إلى إجهاض الثورة الفلسطينية وتدميرها، ولكن رجال المقاومة خرجوا مرفوعي الرءوس، لما قدموه من أجل الأمة، وخرجوا من أجل المحافظة على المدينة.

كان الرحيل بمثابة قصم الظهر للمقاومة وللشعب الفلسطيني في مخيمات لبنان وخارج لبنان، فبعد الرحيل حدثت أحداث يقشعر لها البدن، قتل وتدمير لأبناء الشعب الفلسطيني في المخيمات في بيروت وجنوب لبنان.

دليل ذلك مذابح صبرا وشاتيلا، التي وقعت بعد خروج رجال المقاومة عن بيروت، وكذلك حصار المخيمات.

وقد سبق خروج المقاومة مجموعة إرهاصات ساعدت على خروجها وتفرُّقها في عدة دول عربية كتونس، والأردن، ومصر.

تجمعت القوى المتحالفة ضد المقاومة الفلسطينية، وذلك لإخراجها من لبنان، وكان على رأس هذه القوى أمريكا ثم إسرائيل ومجموعة من العملاء في لبنان وغيرها من الدول الأخرى. "لقد غادرت أول قافلة فلسطينية بيروت الغربية في الحادي والعشرين من آب/ أغسطس عام ١٩٨٢م، انطلاقًا من ميناء بيروت، حيث اتخذت الوحدة الفرنسية التابعة للقوات المتعددة الجنسيات موقعا لها في اليوم نفسه. واستمرت عملية الإجلاء بالبحر دون توقف حتى أول أيلول/ سبتمبر.

في الوقت نفسه أجلى قسم المقاتلين الفلسطينيين عبر طريق بيروت - دمشق الدولي، وفي ٢٧، ٢٩ أغسطس رحل جيش التحرير الفلسطيني، وفي ٣٠ و٣١ من الشهر نفسه رحلت الوحدات السورية التابعة لقوات الردع العربي، وبالنتيجة رحل ١٠٨٧٦

فلسطينيًا، ٨٢٤٥ من منظمة التحرير الفلسطينية، و٢٦٣١ من جيش التحرير الفلسطيني، و٢٧٠٠ سوريا عن بيروت الغربية"[١].

وبعد الرحيل مباشرة كان انفجار مقر حزب الكتائب في بيروت الشرقية، الذي أودى بحياة قائد القوات اللبنانية "بشير الجميل"، الذي انتخب رئيسًا للجمهورية في ٢٣ أغسطس ١٩٨٢م؛ مما أدى إلى وقوع مجزرة صبرا وشاتيلا بتاريخ ١٦، ١٧، ١٨، ١٩ سبتمبر، التي ذهب الآلاف من سكان المخيمين... ضحايا أبرياء نتيجة هجوم الكتائب، وجيش الدفاع الإسرائيلي على سكان المخيمين. بعد أن خرج الرجال الذين كانوا يدافعون عن المخيمات، ولم يبق إلا الأهالي العُزَّل من السلاح.

والإسرائيليون قرروا عدم اجتياح مدينة بيروت، وذلك خوفًا من سقوط آلاف القتلى منهم، ولذلك فكروا بتسوية بيروت بالأرض وإبادة من فيها. بعد حصار دام ثلاثة أشهر، إذ قطعوا عن المدينة وأهلها الماء، والكهرباء، والتموين، والإمدادات الطبية، ولقد قال صائب سلام - رئيس وزراء لبنان الأسبق -: "أخشى ألا ينسحب الإسرائيليون إلا بصعوبة بالغة، وأعتقد أن قادة إسرائيل يخططون لتدمير بيروت. إنهم يهدفون لتقسيم لبنان، أو ذوبانه حتى يسهل لهم السيطرة، وأنا لا أعتقد أنهم يستهدفون الفلسطينيين فقط". ثم يضيف قائلاً: "إنني أتألم من صميم قلبي لبيروت، فلقد كانت من أجمل مدن الشرق الأوسط وأكثرها ازدهارًا، وها هي الآن تتحول إلى مدينة أشباح"[٢].

الفلسطينيون الذين غادروا بيروت كان معظمهم يفضل البقاء فيها، والقتال حتى آخر قطرة دم، لأنهم لم يعرفوا الهزيمة في حياتهم، ولقد هزموا الإسرائيليين في حرب الليطاني عام ١٩٧٨م، وبيروت كما قال ياسر عرفات - الرئيس الفلسطيني - مدينة لبنانية وإذا بقينا فيها فسوف تهدم وتسوى بالأرض، لذا فالخروج بشرف من المدينة هو الأفضل، وقال: "إننا مدينون كثيرا للشعب اللبناني الذي حارب معنا وتحمل الكثير لأجلنا وبالتالي فإن أفضل ما نرد به الجميل للبنانيين هو أن نغادر بيروت قبل أن يدمرها الإسرائيليون"[٣] خلال تسعين يومًا من القتال والحصار، ورغم أن العدو الصهيوني مارس خلال هذه الفترة أبشع أشكال القصف والتدمير وعمليات القتل

---

(١) الجنوب اللبناني... حقائق وأرقام ١٩٤٨ - ١٩٨٦م، مصدر سابق، ص: ٣٣.

(٢) توني كليفتون ليروي: من تل الزعتر إلى صبرا وشاتيلا، مصدر سابق، ص: ١٤٨ .

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٥٠ .

الجماعية، ورغم أن العدو قد احتل معظم لبنان. فإن القمة العربية لم تعقد مع العلم أن أكثر من دعوة أطلقت آنذاك بضرورة عقدها ولكن بعد خروج المقاومة من بيروت اتفقوا على عقد قمتهم الهزيلة[1].

«نزلت أول مجموعة فلسطينية غادرت بيروت إلى ميناء لارنكا في اليوم التالي، تحمل أعلامها الفلسطينية، وترفع رءوسها عاليًا لكاميرات التليفزيون، وصعدوا الطائرات التي أقلتهم إلى الأردن والعراق، فوصلت غالبيتهم إلى قاعدة المفرق الجوية الأردنية، وهناك كان الملك حسين العاهل الأردني في استقبالهم، وتوجه الفدائيون إلى الأردن، وتونس، والعراق، وسوريا، واليمن الشمالية واليمن الجنوبي، بينما نقل الجرحى إلى قبرص وسوريا واليونان ومصر[2].

أما الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات فقد ظل لمدة أسبوع بعد بدء الرحيل ليودع رسميًا السياسيين اللبنانيين الذين تفاوضوا نيابة عنه لفترة طويلة، وأخيرًا غادر بيروت بحرًا إلى اليونان وقال: "إنني أترك هذه المدينة ولكن قلبي سيظل دائمًا في بيروت[3].

خرجت المقاومة الفلسطينية على دفعات، وكان المقاتلون يشعرون أنهم قد لا يعودون إلى بيروت، أما عائلاتهم فكانوا يشعرون بالخوف إذا ما عادوا إلى المخيمات وقد غاب المدافعون عنها.

في البدء كان عرفات يحاول إطالة أمد المفاوضات إلى أطول فترة ممكنة، فقد رفض الخروج بحرًا، وحين سئل قال: "يخشى أن يصاب جنوده بدوار البحر"، ولكن بشير الجميل طلب منه مغادرة بيروت وقال له: إن بيروت ليست ستالينغراد، فاذهب إلى بلادك، واختر المكان الذي تريده، واجعله ستالينغراد"[4].

ومع رحيل منظمة التحرير الفلسطينية، وتشتت قواها في دول عربية ثمان، انتهت مرحلة تاريخية كاملة من مراحل وجود هذه المنظمة، وتميزت الفترة الاستراتيجية

---

(١) نزيه أبو نضال: في مواجهة عقلية التسوية، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، دار الجليل، ط١، ١٩٨٢، ص: ٧٥ .

(٢) جون بولوك: مضاعفات الغزو الإسرائيلي للبنان، جريدة الخليج، ص: ١٧، الجمعة بتاريخ ٣ يناير ١٩٨٦م.

(٣) المصدر نفسه، ص: ١٧ .

(٤) لبنان آخر وأطول حروب إسرائيل، مصدر سابق، ص ١٦٢.

للمنظمة بأمور مهمة منها:

أولاً، كانت الاستراتيجية العسكرية الفلسطينية قبل الحرب دفاعية بمجملها، وتهدف إلى مواجهة ذلك النوع من العمليات العسكرية الذي قامت به إسرائيل ضد أهداف فلسطينية منذ سنة ١٩٧٨م، كالغارات الجوية وغارات الكوماندوس، والهجمات العسكرية بحجم سرية أو كتيبة.

ثانيًا، إن التبعثر في قوات المنظمة بسبب الفصائل المختلفة التي تتألف منها، بالإضافة إلى الحركة الوطنية اللبنانية، أدى إلى عدم نشوء استراتيجية عسكرية موحدة.

ثالثًا، وعلى الصعيد التكتيكي لم يكن هناك قدر ضئيل جدًا من التوحد في المقاييس بين الفصائل الفلسطينية، وجرى استيعاب عدة دروس، إيجابية وسلبية، من خلال الأداء على المستوى العملياتي[١].

وبعد خروج المقاومة الفلسطينية استمرت حرب الاستنزاف في جنوب لبنان، فالعمليات الفدائية الفلسطينية - اللبنانية ضد أهداف عسكرية إسرائيلية داخل لبنان، حيث تفجر القنابل والعبوات ضد قوات الاحتلال في أي مكان، وتفجير مقر قوات المارينز الأمريكية، وكم من شهيد قدم روحه فداءً للوطن مثل "سناء محيدلي" - عروس الجنوب اللبناني، و"ابتسام حرب"، وغيرهما من الشهداء الذين سطروا الملاحم النضالية.

إذن الحركة الوطنية اللبنانية لعبت دورًا كبيرًا في طرد المحتل من الجنوب اللبناني، وما زالت الحركة الوطنية اللبنانية والفلسطينية تعملان ضد إسرائيل في لبنان، رغم أن هناك الكثير من عملاء إسرائيل يحاصرون مخيمات الجنوب اللبناني، ويقابلهم سكان المخيمات بالصمود والتحدي، وأدى حصار المخيمات في جنوب لبنان إلى انتشار الأمراض بين الأطفال، ومات الكثير منهم، وهم يجمعون الأعشاب حول المخيم، بسبب الجوع الذي حدث من جراء الحصار التمويني للمخيمات، وأدى الحصار إلى تهجير ٣٠ ألف فلسطيني، وتدمير ٤٠٠ مسكن، ونهب ١٢ ألف منزل[٢].

---

(١) الاجتياح الإسرائيلي للبنان ١٩٨٢، دراسات سياسية وعسكرية - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٨٤، بيروت، ص: ٨٨ .

(٢) جريدة الخليج، العدد ٢٨٧٨، الشارقة، الاثنين ٩/ ٣/ ١٩٨٧، ص١١.

كل هذه الأمور من حصار ومذابح وتشريد بعد خروج المقاومة الفلسطينية، وحصار مخيم «برج البراجنة» في بيروت الغربية على يد ميليشيات «أمل» أدى بسكان المخيم إلى أكل لحوم الفئران، والاستغناء لأكل لحوم البشر!

والحقُّ أن خروج المقاومة كان له تأثير كبير على الساحة العربية؛ إذ أصبحت إسرائيل تصول وتجول ولا تجد من يقف في طريقها. إلا أن الحركة الوطنية اللبنانية بالتعاون مع الثورة الفلسطينية، استطاعت أن تحقق النصر على قوات الاحتلال الصهيوني في لبنان، وخاصة جنوبه.

ومن الإنصاف أن نقول: لقد كانت خسائر اجتياح إسرائيل للبنان، عام ١٩٨٢م، كبيرة، وخاصة في الأرواح والمباني، بالإضافة إلى الخسائر الاقتصادية، حيث تضررت المزروعات من جراء القصف، وتشريد السكان في الجنوب؛ مما أدى إلى انخفاض الإنتاج الزراعي والصناعي، ولكن إسرائيل استخدمت سياسة القبضة الحديدية لمواجهة المقاومة الوطنية اللبنانية في عام ١٩٨٥م، حيث اتخذت إجراءات قمع مشددة ضد سكان جنوب لبنان؛ مما أدى إلى تكثيف عمليات المقاومة في الجنوب ضد إسرائيل وإرغامها على الانسحاب من الجنوب، وتكبيدهم خسائر بشرية ترتفع باستمرار، وأيضًا أصبحت الحرب تكلف إسرائيل حوالي مليون دولار يوميًا.

تزايدت ممارسات القمع الإسرائيلية في الأراضي اللبنانية المحتلة تباعًا لتبلغ أوجها مع اعتماد السياسة المسماة "القبضة الحديدية" في ٢٠ شباط/ فبراير ١٩٨٥م، ولقد اتخذ هذا القمع أشكالاً مختلفة[١].

* * *

(١) إبراهيم الوحش: مأساة بيروت، مصدر سابق، ص ٢٥٨.

المبحث الثاني

أحداث ما بعد الخروج إلى حرب تموز ٢٠٠٦م

ظلت الآلة العسكرية الإسرائيلية من فترة لأخرى تضرب الجنوب اللبناني، وتوقع بعض الخسائرالطفيفة، حتى جاء يوم ٢٥ من تموز/ يوليو ١٩٩٣م، وفيه بدأت إسرائيل عملية عسكرية شملت مناطق لبنانية عديدة في الجنوب، والبقاع، والشمال، وأطراف بيروت، واستخدمت فيها مختلف أنواع الأسلحة، واتبعت فيها الأسلوب التدميري، واستمرت العملية أسبوعًا كاملاً (من ٢٥ - حتى ٣١/ ٧/ ١٩٩٣) وأُطلق عليها اسم "تسوية الحسابات" أو "تصفية الحسابات".

لم تكن العملية مفاجئة على الأرجح إلا لسكان القرى والبلدات التي تعرضت للقصف، إذ يبدو أن أطرافًا عديدة كانت تعلم بأن إسرائيل ستقدم على عمل عسكري[1].

ويبدو أن «حزب الله» تحسَّب لاحتمالات العدوان، فأخلى مواقعه، وبدَّل انتشاره قبل ثلاثة أسابيع من بدء العملية[2].

أما أسباب هذه العملية، فقد رأى الجانب الإسرائيلي أن المقاومة في لبنان اكتسبت تطورًا مهمًا، فقد نجح المقاومون في التخطيط لعمليات تم فيها الدمج بين زرع عبوات ناسفة متطورة، وبين نصب كمين قرب مكان العبوة.

كذلك شروع "حزب الله" في استخدام صواريخ مضادة للدبابات من طراز "ساغر"، وحسَّن مقاتلوه من أساليب قتالهم، وهو ما عبَّر عنه المعلق العسكري "زئيف شيف" بقوله: "إن الفجوة في خسائر كل من الجيش الإسرائيلي، وحزب الله آخذة في التقلص، كانت الفجوة سنة ١٩٩٠ ما نسبته قتيل واحد في صفوفنا في مقابل ٥,٢ في صفوف الحزب، وفي سنة ١٩٩١ تقلصت الفجوة إلى واحد في مقابل اثنين من صفوف الحزب،

---

(١) جريدة الحياة ١٩٩٣/٨/٤ "ذكرت أن المسؤولين اللبنانيين جميعًا أُبلغوا من الجانب الأمريكي معلومات عن العدوان".

(٢) le monde بتاريخ ٣١/ ٧/ ١٩٩٣م. نقلاً عن "حرب الأيام السبعة - المقدمة - مؤسسة الدراسات الفلسطينية..

وفي سنة ١٩٩٢ واصلت الفجوة تقلصها فأصبحت ١ : ١,٧، ... ولذا يجب ليُّ ذراع نحزب في منطقة الحزام الأمني"[١]

أما حصيلة العدوان الإسرائيلي على الجنوب خلال الأيام السبعة، فهي:

عدد القتلى	١٣٢
عدد الجرحى	٥٠٠
عدد المنازل المدمرة	١٠,٠٠٠
عدد المنازل المصابة بأضرار	٢٠,٠٠٠
عدد القرى المصابة	١٢٠ قرية[٢]
عدد النازحين من القرى	٣٠٠,٠٠٠ نازح[٣]
عدد المدارس المصابة	١٥٤ مدرسة[٤]

وأطلقت إسرائيل على جنوب لبنان نحو ٢٢,٠٠٠ قذيفة، وألف صاروخ.

بينما أطلقت حركة المقاومة في الجنوب نحو ٢٣٥ صاروخ كاتيوشا[٥].

وظلت الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان من حين لآخر حتى وقعت مجزرة "قانا" في ١٨ نيسان/ إبريل ١٩٩٦م، ليتوج بها العدو جرائمه، فقد ذهب ضحيتها نحو "١٧٦" من الشهداء معظمهم من الأطفال والنساء، كانوا يختبئون في مركز تابع لقوات الأمم المتحدة، يرفرف عليه علمها المهان!![٦]

وهذا ما جعل الشاعر المصري سعد دعبيس يقول[٧]:

---

(١) هآرتس: ٢٣/ ٨/ ١٩٩٣م.

(٢) النهار: ١٤/ ٨/ ١٩٩٣م.

(٣) الحياة: ٣/٨/١٩٩٣م.

(٤) الحياة: ١٢/٨/١٩٩٣م.

(٥) النهار: ٣٠/٧/١٩٩٣م.

(٦) لمعرفة المزيد من ذلك انظر: النازيون الجدد، يوميات العدوان الإسرائيلي على لبنان (١١/ ٤ - ٢٦/ ٤/ ١٩٩٦م)، إعداد: طارق الكركيت، مركز يافا للدراسات والأبحاث - القاهرة. ط١٩٩٦م، ص١٥٢ وما بعدها.

(٧) الأهرام: ١٧/ ٨/ ٢٠٠٦م.

لا تبك يومًا.. لأسرانا وقتلانا　　بل.. فابك نفسك واحضر قبرك الآنا!

وارقب دماءك تجري لست تبصرها　　ولست تدرك.. أن قد صرت جثمانا!

وانظر بقاياك للجلاد ضارعة　　ترجوه.. أن يقبل الأشلاء قربانا!

.....　　.....

لو كنت تعرف أن الموت ليس سوى　　أن تشتري بدم الأحرار تيجانا!

وأن العمر أرقامًا وأرصدة　　ولو غدا العمر.. أشلاء.. وأكفانا!

وأن يصير دم الأطفال في "قانا"　　كؤوس خمر.. وأفراحًا وألحانا!

والشاعر يستلهم نصًا عربيًا قديمًا لقريط بن أنيف الذي قال ساخرًا من قبيلته، وهي كثيرة العدد والعدة، ولكنها استكانت لأعدائها، فقال:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي　　بنو اللقيطة.. من ذهل بن شيبانا[1]

وظلت المناورات على لبنان حتى جاءت حرب تموز/ يوليو ٢٠٠٦

○ حرب (تموز) يوليو ٢٠٠٦م

في ١٢ يوليو ٢٠٠٦م دخلت عناصر مقاتلة من «حزب الله» الحدود اللبنانية الإسرائيلية ونفذت عملية "الوعد الصادق" والتي كانت تهدف إلى أسر عدد من الجنود الإسرائيليين لمبادلتهم بأسرى لبنانيين وعرب داخل السجون الإسرائيلية، وقد أدَّت العملية إلى أسر جنديين إسرائيليين، ومقتل ثمانية آخرين، الأمر الذي دعا إسرائيل إلى اجتياح الحدود اللبنانية، ومحاولة التوغل في جنوب لبنان، وقد شنت حربًا شعواء على لبنان، استمرت نحو ٣٣ يومًا كان من أهم أهدافها ما سمته بـ"سحق حزب الله" والقضاء على ترسانة الحزب العسكرية، وخاصة الصاروخية منها، التي تشكل تهديدًا أمنيًا لإسرائيل من جهة الشمال، وكذلك استعادة جنديها الأسيرين بالقوة العسكرية من دون تفاوض.

وقد جندت إسرائيل نحو ١٠,٠٠٠ جندي في بداية القتال، ووصل إلى ٣٠,٠٠٠ في أواخره.

---

(١) سنعود إلى ذلك في ثنايا الدراسة الفنية بالباب الأخير من هذا الكتاب.

بينما حشد حزب الله نحو ٦,٠٠٠ جندي عند بدء القتال، ووصل إلى ١٠,٠٠٠ مسلح في أواخره!!.

وقد وصل عدد الغارات الجوية الإسرائيلية بـ (٧٠٠٠) غارة، ونحو (٢٥٠٠) عملية قصف، وألقي نحو (٢٣٧٠٠٠) قذيفة، وتم تدمير نحو ٨٠ جسرًا، و٥٠ مدرسة، و١٥٠٠٠ منزل، وقد زرعت إسرائيل أثناء هذه الحرب ٤٥٠ حقلاً ألغاميًا عدد مجموعها نحو مليون ومائتين ألف لغم عنقودي[١].

هذا وقامت الآلة العسكرية الإسرائيلية باجتياح الحدود اللبنانية، وأحدثت عدة مذابح قدِّرت بـ ٥٧ مجزرة بشرية، نذكر منها:

* مجزرة "صريفا" في مساء الثلاثاء ٢٠٠٦/٧/١٩م راح ضحيتها نحو ٣٧ شهيدًا، واكثر من ٣٠ جريحًا.

* مجزرة "عيناتا" في الأربعاء ٢٠٠٦/٧/٢٠م ضحيتها: خمسة قتلى، وتسعة جرحى.

* مجزرة "عيناتا" الثانية في ٢٠٠٦/٧/٢٤م، ضحيتها: ١٨ قتيلاً، ومن بينهم سبعة أطفال.

* مجزرة "سلعا" (صور) في ٢٠٠٦/٧/٢٠م، ضحيتها: عشرة قتلى وخمسين جريحًا، إضافة إلى مجازر أخر منها مجزرة "معربون" في ٢٠٠٦/٧/٢٠، مجزرة "النبطية" في ٢٠٠٦/٧/١٩، مجزرة "الحوش" في ٢٠٠٦/٧/٢٠، مجزرة "النبي شيث (بعلبك)" في ٢٠٠٦/٧/١٩، مجزرة "عيترون" في ٢٠٠٦/٧/٢٠، مجزرة "زبقين" في ٢٠٠٦/٧/٢٠، مجزرة "مفرق المباسية" في ٢٠٠٦/٧/١٦، مجزرة "عبا النبطية" في ٢٠٠٦/٧/١٦، مجزرة "الشميس شحيم" في ٢٥/ ٢٠٠٦/٧، مجزرة "برج الشمالي (صور)" في ٢٠٠٦/٧/٢٥، وكذلك مجزرة "ياطر" في اليوم نفسه، ومجزرة "الدوير" ومجزرة "بافلاي"، مجزرة "مروحين"، ومجزرة "النبطية" الثانية، ومجزرة "حداثا"، ومجزرة "كفر جوز" ..... وغيرها[٢].

وعلى الرغم من هذه المجازر والمذابح والتي راح ضحيتها نحو "١٠٠٠" شهيد، ونحو

---

(١) تقرير صادر عن الجمعية اللبنانية لحقوق الإنسان، ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: صحف: البلد، السفير، النهار، في الفترة من ١٦/ ٧ حتى ١٥/ ٨/ ٢٠٠٦م.

٢٠,٠٠٠ جريح، ودُمِّرت البنية التحتية للبنان والأمر الذي جعلها تحتاج إلى عشرات المليارات من الدولارات لإعادة بنائها.. وعلى الرغم من هذه الأرقام المفزعة فإن إسرائيل لم تحقق أهدافها العسكرية وباءت محاولاتها بالفشل، وأُجْبِر الإسرائيليون على الانسحاب من الجنوب اللبناني وعقد صفقات مع حزب الله لتبادل الأسرى وهكذا مُنِيَ الجيش الإسرائيلي بهزيمة من حزب الله ولم يحقق أيًا من أهدافه، بل أدت الحرب إلى مقتل نحو ١١٩ جندي إسرائيلي، ونحو ٤٤ مدنيًا، وجرح ما بين ٤٠٠ - ٤٥٠ ما بين مدني وعسكري، فضلاً عن أسر جنديين إسرائيليين، إضافة إلى مئات الملايين من الدولارات.

الأمر الذي جعل الشعراء العرب يسجلون هذا بأحاسيسهم ومشاعرهم.

وقد عمقت المأساة... وسقوط القنابل الفسفورية والعنقودية على الأطفال والنساء، وتشريد الأبرياء وهدم البيوت وابتلاع الأراضي.. كل هذا فجر طاقة شعرية عند الكثير من الشعراء الذين غنوا بشعرهم للمقاومة الفلسطينية واللبنانية.. ورثوا الأبطال الشهداء.. ووصفوا خسة العدو الصهيوني، وقتله الأطفال، أبطال الآربي جي في مخيمات الصمود في جنوب لبنان وبيروت، ولم يقتصر قول الشعر في لبنان على مجموعة معينة من الشعراء، بل كان عدد الشعراء الذين كتبوا عن مأساة لبنان يفوق الحصر، ومن مختلف أرجاء الوطن العربي، وأول ما نبدأ به هو تأثير المأساة وخروج المقاتلين والحرب على شعراء فلسطين المحتلة في كل مكان من العالم؛ لأنهم أكثر من تأثر من أحداث لبنان.. من حيث القتل والتشريد والاعتقال وحصار المخيمات والمذابح التي ارتكبت ضد الأبرياء العزل في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في بيروت وجنوبي لبنان.

* * *